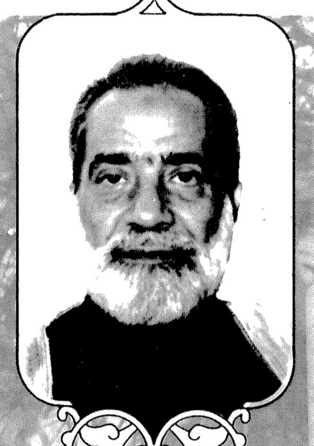
سلسلة
كتب إسلامية



الطريق إلى الله

مِنْ مَجَامِعِ الْكَلِمِ



الداعية الإسلامى
ياسين رشدى



الطَّريقُ إلى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية





بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

الأزهـــر
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العـامة
للبحـوث والتـأليف والترجمـة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

السيد / رئيس مجلس إدارة نهضة مصر للطباعة والنشر
(محمد محمد إبراهيم)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : (صور من جوامع الكلم)

تأليف : الشيخ / أحمد محمد مرسي ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ٢٢ / ٨ / ١٤١٢ هـ
الموافق ٢٧ / ٢ / ١٩٩٢ م

تَقْــــدِيم

الْحَـمْدُ «لله» كَـالَّذِى نَقُـولُ ، وَخَـيْرًا مِمَّا نَقُــول .
أَحْـسَنَ كُـلَّ شَـىْءٍ خَلَقَـهُ ، فَالْكُـلُّ بِالْعِنَـايَةِ مَشْمُول .
قَـدَّرَ لِكُـلِّ مَوْجُودٍ رِزْقَـهُ ، وَكُـلٌّ عَلَـى جَنَاحِ النِّعْمَةِ مَحْمُول .
أَعْـطَى كُـلَّ شَـىْءٍ خَـلْقَهُ ، وَكُـلُّ أَمْـرٍ إِلَيْـهِ مَوْكُـول .
لَـهُ فِـى كُلِّ أَمْرٍ حِكْـمَةٌ ، وَإِنْ ذُهِلَـتْ عَنْـهَا الْعُقُـول .
نَحْـمَدُهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى حَمْدًا ؛ هُوَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَوْصُول .
وَنَعُـوذُ بِنُـورِ وَجْـهِهِ الْكَـرِيمِ مِنَ السُّحْـتِ والْغُلُـول .
وَنَرْجُـوهُ الْعِصْـمَةَ مِنَ الْحَـرَامِ فِي كُـلِّ مَشْرُوبٍ وَمَأْكُول .
وَأَشْهَدُ أن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ «الله» الْحَىُّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَلاَيَزُول .
الْمُسْـتَوِى عَلَـى عَـرْشِهِ ، دُونَ مُمَـاسَّةٍ أَوْ حُـلُـول .
شَهِدَ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَشَهِدَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ ، والْعُدُول .
لا يَشْغَـلُهُ شَـأْنٌ عَـنْ شَـأْنٍ ، وَغَيْـرُهُ عَـنْ شَأْنِهِ مَشْغُول .
لا يُعْجِـزُهُ شَـىْءٌ ، وَكُـلُّ مُـرَادٍ لَـهُ فـى الكَـوْنِ مَفْعُـول .
لا يُسْـأَلُ عَـمَّا يَفْعَـلُ ، وَكُـلُّ مَـنْ عَـدَاهُ مَسْئُول .
لا يَخْـفَى عَلَـيْهِ شىءٌ ؛ فَـلاَ حَـائِلَ دُونَ عِلْـمِهِ يَحُول .
يَـرَى وَيَسْـمَعُ ، وَسَـتْرُهُ عَلَـى الْعُصَـاةِ مَسْـدُول .
فَـتَحَ أَبْـوَابَ تَـوْبَتِهِ لِكُـلِّ أَسِـيرٍ فـى الإِثْمِ مَغْلُـول .

لا يَـرُدُّ سَـائِلاً ، وَدُعَـاءُ الصَّـالِحِينَ لَـدَيْهِ مَقْبُـول .
وَأَشهَـدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا مُحَـمَّدًا عَبْـدٌ «لله» وَرَسُـول .
دَعْوَةُ الْخَلِيلِ ، وَقُرَّةُ عَيْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَبُشْرَى ابْنِ الْبَتُول .
أَشْرَقَ عَلَى الْوُجُودِ بِنُورِهِ ؛ فَإِذَا الْكَواكِبُ والشُّمُوسُ أُفُول .
أُرْسِلَ والنُّفُوسُ مَوَاتٌ فَحَيِيَتْ ، وَأَيْنَعَتِ الأَزْهَارُ بَعْدَ ذُبُول .
بُعِثَ بِالْحَقِّ والْعُقُولُ ظَلاَمٌ ؛ فَأَفَاقَ النَّاسُ بَعْدَ ذُهُول .
قَالَتِ الأَعْرَابُ وَالكُهَّانُ بِالظَّنِّ ؛ فَإِذَا هُوَ بِالْوَحْيِ يَقُول .
رَسَمَ الطَّرِيقَ إِلَى الْهُدَى وَلَوْلاَ هَدْيُهُ مَا صَحَّ لِلْعَبْدِ وُصُول .
طُوبَى لِمَنْ فَازَ بِرُؤْيَتِهِ ، أَوْ نَالَ فى حَضْرَتِهِ الْمُثُول .
شُفِـىَ الْمَـرِيضُ بِرِيقِـهِ ، وَبِلَمْسِـهِ نَشِـطَ الْكَسُـول .
هُوَ الْحَنَانُ ، هُوَ الأَمَانُ ، وبالصَّلاةِ عَلَيْهِ كُلُّ الْهُمُومِ تَزُول .
أَعْطَـاهُ الإِلٰه شَفَـاعَةً ، وَبِـدُونِهَا مَا كَـانَ لِلنَّجـاةِ حُصُـول .
هُـوَ الْوَسِيلَةُ تُـرْتَجَى ؛ إِذْ لَـوْلاَ رِضَـاهُ لانْعَـدَمَ الْقَبُـول .
لَـهُ الْمَقَـامُ الأَوْحَـدُ ، وَقَـدْ أَصَـابَ الْمُقَـرَّبِينَ خُمُـول .
«أَنَا لَهَا» لَهُ مَقَالَةٌ ، «وَنَفْسِى ثُمَّ نَفْسِى» كُلُّ الأَنْبِيَاءِ تَقُول .
قُرْبٌ ونَجْوى .. حُبٌّ وَزُلْفَى .. وَبِحَمْدِهِ لِرَبِّهِ يَتَحَقَّقُ الْمَأْمُول .
تَرَاهُ تَحْتَ الْعَرْشِ سَاجِدًا ، والْخَوْفُ فى نُفُوسِ الْجَمْعِ يَصُول .
سَلْ يَا مُحَمَّدُ مَا بَدَا لَكَ ، فَمِنْ قَبْلِ الْمَسْأَلَةِ أَجَابَ الْمَسْئُول .
اللَّهُـمَّ صَـلِّ وَسَـلِّمْ وَبَـارِكْ عَلَـى الْحَـبِيبِ الْمُصْطَفَـى ..

وَعَلَى فُرُوعِ شَجَرَتِهِ ، والأُصُول .
وَعَلَى الصَّحْبِ والآلِ ومَنْ تَبِعَ ، وقِنَا فِي حُبِّهِم شَرَّ كُلِّ عَزُول .

أما بَعْـد

فخير الكلام كلام «الله» .. وخير الهدْي هَدْيُ رسول الله ﷺ القائل : «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ الله وسُنَّتِي**»[1]. وقد أخبر ﷺ عن نَفْسِهِ أنه قد **أُعْطِيَ مَجَامِعَ الكَلِمِ** ، وهى مفاتيح الكلام ، والبلاغة ، والفصاحة ، والتعبير عن المُرَادِ بأَقَلِّ الكلمات دون إخلال بالمعْنَى .. وهو الأُمِّيّ الذى لم يَقْرَأْ ، ولم يَكْتُبْ .. ولذلك كانت كلماته ﷺ نورًا ، وضياءً سَهُلَ على الصحابة (رضوان الله عليهم) حفظها والعمل بها .. وقد حرص البعض منهم على تَدْوِينِها : كعَبْدِ الله بنِ عُمَرَ (رضى الله عنهما) الذى كان يَعْرِف الكتابة .. وحرص البعض الآخر على حفظها فى قلبه كما قِيلَت ، وأعانه «الله» على ذلك : كأَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه)،وقد نقل الأصحاب (رضى الله عنهم) هذا إلى التابِعِينَ الذين حَفظُوه بدورهم فى صُدُورِهم ، ونقلوه إلى تابعيهم وهكذا .. وكان الشرف كل الشرف – بعد حفظ كتاب «الله» – لهؤلاء الذين حفظوا حديث رسول الله ﷺ وحَدَّثُوا به .. وأول مَن ارتفع ذكره فى هذا الشأن الرَّبِيعُ بْنُ صُبَيْح ، وسَعِيدُ بْنُ أَبِى عَرُوبَةَ اللَّذان كانا يُصنِّفان الأحاديث: كُلَّ باب على حِدَة.. وقد حمل لواء الفضل فى جمع

(١) مالك فى: الموطّأ، والحاكم فى: المُستَدرك ، وبمعناه عند مُسْلم ، وفى : الصَّحِيحَة للألبانى على نح (١٧٦١).

أحاديث رسول الله ﷺ وتدوينها خامس الراشدين عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (رضى الله عنه) الذى كتب إلى أبى بكر بن محمد بن حَزْمٍ : **أَنِ انْظُرْ إِلَى مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ الله ﷺ ، أَوْ سُنَّتِهِ فَاكْتُبْهُ فَإِنِّى خِفْتُ دروسَ** (ضياع) **الْعِلْمِ ، وذَهَابَ الْعُلَمَاءِ** .. إلى أن انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة ؛ فصنَّف الإمام مالِكُ بْنُ أَنَسٍ (الْمُوَطَّأ) بالمدينة المنوَّرة ، وعَبْدُ المَلِكِ بْن جُرَيْجٍ بِمَكَّةَ ، وعَبْدُ الرَّحْمٰنِ الأَوْزَاعِيُّ بالشَّام ، وسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بالكُوفة ، وحَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ بنُ دينَارٍ بالبصرة .. ثم تلاهم الكثير من الأئمة مثل الإمام : أَحْمَد بنُ حَنْبَل ؛ وإسْحَق بن رَاهَوَيْه ، والبَزَّار ، وغيرهُم .. وأوَّل من صنف فى خصوص الصحيح الإمام محمد بن إسْماعِيل البُخَارِيُّ .. وازدهر علم الحديث وبرز فيه رجال عُرِفوا بالصدق ، والأمانة ، والدقَّة المتناهية فى مراجعة **مَتْنِ الحديث** (موضوعه وكلماته) ، وهل هو مُتَّفِقٌ مع ما جاء فى القُرآن الكريم .. وكذلك البحث فى سيرة الرواة ، ومدى صدقهم ، وما عُرِفَ عنهم فى زمانهم من : صلاح ، ووَرَع ، وحفظ .. وهل سمع فلان من فلان الذى يَرْوِى عنه ؟ وهل التقى به ، أو كان معاصرًا له ؟ وهكذا .. وهو ما يعرف **بِسَنَدِ الحديث** .. ثم قاموا بوضع مَعَايير دقيقة ، وشروطٍ تُوزَنُ بها الأحاديث لمعرفة درجة صِحَّتِها ، ونِسْبَتِها إلى رسول الله ﷺ .. وقسَّموا الأحاديث إلى : **صَحِيح ، وحَسَن ، وضَعِيف** .. **فالأحاديث الصَّحِيحَةُ** هى التى اشتملت من أوصاف القبول على أعلاها .. **والأحاديث الْحَسَنَةُ** هى التى اشتملت من أوصاف القبول على أدناها .. **أما الأحاديث الضَّعِيفَةُ** فهى التى لم

تشتمل على شيء منها .. وهذه الأنواع الثلاثة تشتمل على فروع : فمنها ما هو **مَرْفُوعٌ** ، وهو الذى اتصل بالنبى ﷺ ، وما هو **مَوْقُوفٌ** إن وقف على الصحابة و لم يرفعوه إلى النبى ﷺ ، **ومَقْطُوعٌ** إن وقف على التابعى الذى يَرْويه .. هذا وإذا لم يسقط راوٍ من السَّنَدِ سُمِّىَ الحديث **مُتَّصِلاً** .. فإن كان الساقط غير الصحابى الذى يرويه عن النبى ﷺ كان الحديث **مُنْقَطِعًا** .. أما إن كان الساقط جميع السَّنَدِ سُمِّىَ **مُرْسَلاً** أو **مُعَلَّقًا** .. وهكذا .. وقد اتَّفق علماء الحديث على أن أصَحَّ الحديث ما اتفق عليه البُخَارِىُّ ، ومُسْلِمٌ ، ثم ما انفرد به البُخَارِىُّ ، ثم ما انفرد به مُسْلِمٌ ، ثم ما كان على شرطهما : أى ما كان مَرْوِيًّا عن رجالهما ، و لم يكن فى الصحيحين ، ثم ما كان على شرط البُخَارِىِّ : أى مَرْوِيًّا من رجاله ، ولكنه ليس فى صحيحه .. ثم ما كان على شرط مُسْلِمٍ : أى مَرْوِيًّا من رجاله ، و لم يكن فى صحيحه .. وهكذا تتحدد درجة الحديث من الصحة بحسب ضبط رجاله (الرُّوَاة) واشتهارهم بالحفظ ، والوَرَع ، وشروط العدالة.

والمتتبِّع لأحاديث رسول الله ﷺ يجد أنها قد شملت جميع أمور الدنيا والآخرة ، ورسمت الطريق المستقيم المؤَدِّى إلى رضوان «الله» تعالى بأسلوب فصيح جميل موجز . فهو ﷺ أفصح من تكلم بالعربية ، وأصدق من نطق بها .. وما من خير فى الدنيا أو الآخرة إلاَّ ودَلَّنا عليه ، وما من شَرٍّ فى الدنيا أو الآخرة إلاّ وحَذَّرَنا منه .

وقد رأينا – أيها القارئ الكريم – أن نقدم لك مجموعة مختارة من أحاديث سَيِّد المرسلين ﷺ وخاتمهم ، تتناول موضوعات عديدة تنير

لك [الطريق إلى «الله»] فى مُختلف الظروف والأزمان .. فقد خاطب ﷺ أُمَّته جميعًا منذ بُعِثَ إلى أن تقوم الساعة .. فما اختصَّ بزمان صحابته فقد فَهِمُوه وعملوا به ، وما اختصَّ بالأزمان بعدهم فقد آمنوا به ، وحفظوه ، ونقلوا كل ذلك إلى من جاء بعدهم ؛ عملاً بقوله ﷺ :

«نَضَّر الله امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا ؛ فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَه ؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[2] .

وها نحن نطمع فى هذه البُشْرى فنقدم لك هذا الجهد المتواضع مبتغين الأجر من «الله» وحده.. رَاجِينَ منه – عَزَّ وجَلَّ – أن :

يَنْفَعَنَا جَمِيعًا بِهَذَا النُّورِ ..
وأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُون الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ..
إنه عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ، وبالإجَابَةِ جَدِيرٌ ..
وهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى ، ونِعْمَ النَّصِيرُ .



(٢) عن ابن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) رواه الترمِذِى (٢٦٥٩) وقال : حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وأحمد : ٤٣٧/١ ، وابن ماجة (٢٣٠) ، (٣٥٠٦) ، وصَحَّحَهُ ابن حِبَّان (٧٤) ، (٧٥) . وفى الباب عن جُبير ابن مُطْعَم عند أحمد:٨٠/٤ ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ ٨٦/١ ، ٨٧ . وعن زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ عند أحمد: ١٨٣/٥ والدَّارِمِى ٧٥/١ . وَصَحَّحَهُ ابن حِبَّان (٧٢) ، (٧٣) .

نِيَّةُ المَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ

١ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَانَوَى .. فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ .. وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .[1]

هذا الحديث من أعمدة الإسلام ؛ فما من كتاب حَدِيث إلاّ وأورَدَه .. وما من فَقِيه أو عالم إلاّ وتناوله بالشَّرح ؛ إذ يبين أساس حِساب «الله» تبارك وتعالى لِعِبَاده .. فليست العِبْرة بالعمل ، وإنما العِبْرة بالنية .. والنية محلها القلب .. وقد أجاز بعض العلماء التلفظ بالنية لِيُوَاطِئَ اللسان القلب.. وما من عبادة تصلح بغير نِيَّة.. ولابد لهذه النية أن تسبق العمل .. وقد تكلَّم الحديث عن الهجرة التى كانت فى ذلك الوقت من أَجَلِّ الأعمال وأفضلها ، إلا أن الحُكْم يسرى على ما دونها من أعمال فهو من باب ذكر الخاص وهو (الهجرة) بعد ذكر العام وهو (الأعمال) التى شملت الهجرة وغيرها .. والنية كافية– إن صَلُحَتْ– لاستحقاق الأجر والثواب ولو لم يتم العمل

(١) أخرجه البُخارىُّ كتاب : الإيمان باب : ٤١ح (٥٤) فتح البارى ١٣٥/١ ، ومُسْلِمٌ كتاب : الإمارة باب : قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية . وفى شرح صحيح مُسْلم ٥٧١/٤ ، وكذلك : أبو داود ، والترمِذِى ، والنَّسائى ، وابن مَاجَةَ عن عُمَرَ بن الخطَّابِ (رضى الله عنه) .

إذا كان ذلك لظروف خارجة عن إرادة العبد لقول «الله» عز وجل ، ﴿... وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رحِيمًا﴾[٢] .. وقد يبدو العمل فى ظاهره جليلا عظيما يغبط الناس صاحبه عليه ، ومع ذلك يُورده موارد التهلُكة فيُعَاقَبُ عليه بدلا من أن يُثَاب عليه ؛ وذلك لفساد نِيَّة العامل ، أو لأنه لم يُرِدْ به وجه «الله» .. ويبين النبى ﷺ ذلك فيقول :

٢ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدتُ . قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ : هُوَ جَرِىءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِىءٌ ، وَقَدْ

---

(٢) النّساء : ١٠٠ .

قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ .. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ، وأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ يَجِبُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ : ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ .(٣)

والحديث يَضْرِب المثل بثلاثة أعمال فى الدنيا ، يمكن بواسطتها أن يصل الإنسان إلى أعلى علِّيِّين .. فمقام الشهادة من أعلى المقامات وأجلّها وأعظمها فضلا .. إذ إن مع أول دفقة دم من الشهيد تُغْفَرُ له جميع ذنوبه ، ويحيى حياة خاصة فى عالم البرزخ لقول «الله» عَزَّ وجلَّ : ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(٤) .. ومقام الدعوة إلى «الله» وتعلُّم القرآن وتعليمه من أجلِّ المقامات ، فالعلماء ورثة الأنبياء .. ويُسأَل العلماء يوم القيامة عما يُسأَل عنه الأنبياء ، وهم شُهَدَاء على عصرهم ومعاصرى زمانهم .. أما مقام الإنفاق فهو مقام الكرماء الذين اصطفاهم «الله» لصنائع المعروف ، وإغاثة الملهوف ، والصدقة تطفئ غضب الرَّب كما يطفئ الماء نار الحطب .. ومع ذلك لم يعمل

---

(٣) أخرجه مُسْلِمٌ ك : الإمارة ، ب : من قاتل للرِّياء والسمعة استحق النار . شرح النووى ٤/٥٦٨ عن أبى هُرَيرة (رضى الله عنه) ، وكذلك الترمِذِى ، والنَّسَائى ، وابن حِبَّان .(٤) آل عِمْرَان : ١٦٩ .

العاملون لهذه الأعمال إلاّ لغضب الجبار ، وعذاب النار ؛ لأنهم أرادوا الدنيا بأعمالهم ، ولم يريدوا بها وجه «الله» الذى يقول : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نزِد لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾(٥) .. وكأن الأعمال الصالحة فى ظاهرها والتى يراد بها مدح الناس وثناؤهم نوع من أنواع الشّرك .. و«الله» تبارك وتعالى لا يغفر أن يُشْرَكَ به .. أما إذا صَلُحَت النية ، وكانت خالصة لوجه «الله» تعالى أثيب صاحبها ولو لم يتم عمله ، أو لم يتخذ صورة العمل الصالح فى نظر الناس لظروف خارجة عن إرادة العامل .. ويتضح ذلك جَليًّا من حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه :

٣ **قَالَ رَجُلٌ : لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ .. لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ .. لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ ،**

---

(٥) الشورى : ٢٠ .

فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ ، وَزَانِيَةٍ ، وَغَنِيٍّ ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا ، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ . (٦)

ويتَّضِحُ من الحديث أنَّ صِدْقَ النية كان سببا فى قبول الصدقة رغم وقوعها فى يد من لا يستحق .. بل أثمرتْ هذه الصدقات ما لم يخطر ببال : فالسارق سوف يتوب وسوف تَعِفُّ الزانية ، ويَعْتَبِرُ الغَنِيُّ فينفق مما آتاه «الله» .. وذلك فضل «الله» يؤتيه من يشاء .. وصدق القائل : **نِيَّةُ المَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ .**



---

(٦) أخرجه البُخارِىُّ ك : الزكاة ، ب : ١٤ (١٤٢١) فتح البارى : ٢٩٠/٣ ، عن أبى هُرَيْرَة (رضى الله عنه) ومُسْلِم ك : الزكاة ، ب : ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت فى يد فاسق ٦١/٣ (شرح النووى) ، والنَّسائى .

إذا فسـد الزمـان

٤ بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ : شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِى رَأْىٍ بِرَأْيِهِ ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لاَ يَدَانِ لَكَ بِهِ ، فَعَلَيْكَ خُوَيْصَةَ نَفْسِكَ .. فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ على مِثْلِ قَبْضِ الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ .. قِيلَ : يَارَسُولَ اللهِ ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : لاَ بَلْ مِنْكُمْ .(١)

يبين لنا الحديث كيف يتصرَّف المسلم إذا فسد الزمان .. **والمعروف** هو كل ما عُرِفَ حُسنُه بالعَقْلِ ، والشَّرعِ .. **والمُنْكَر** هو كل ما أنكره العقل السليم ، والشرع الحنيف .. والرسول ﷺ يأمرنا أن نأتمر بالمعروف ، ونتناهى عن المنكر .. إلى أن نرى أربعة أمور حدَّدها فيما يلى :

---

(١) أخرجه : ابنُ مَاجَةَ ح (٤٠١٤) ١٣٣١/٢ أبواب الفِتَن ، ب : ٢١ بغير زيادة السؤال فى آخره ، عن ثَعْلَبَةَ الخُشَنِى (رضى الله عنه) والترمِذِى روى جزءا منه (٢٣٦١) أبواب الفِتَن،والدَّيْلَمِى ، وأبُو يَعْلَى ، وابن حِبَّان ، والحَاكِم ، والطَّبرانى .

١ – **الشُّحُّ المُطَاعُ** : أى البُخْلُ الشَّديد ، وهو مَرَضٌ من أمراض النُّفوس .
٢ – **الْهَوَى المُتَّبع** : والهوى هو ما تهواه النَّفس وتشتهيه ، وسُمِّى كذلك لأنه يهوِى بصاحبه فى النار .
٣ – **الدُّنْيا المؤْثَرَة** : وهو أن يُؤْثِر الناس دنياهم على أخراهم ، فيعملوا لها غافلين عن الموت والحساب ، غير مُبَالين بثواب أو عقاب .
٤ – **الإِعْجَابُ بالرأى** : وهو نوع من أنواع الغرور يجعل صاحبه لا يستمع لنُصْح ناصح ، ولا يستشير أحدًا فى أمر من أموره .. يستبدُّ برأيه ، ويُعْجَبُ بعقله وفكره ، ولا يرى الصواب إلا فيما يأتيه .

فإذا اجتمعت هذه الأمور فى أناس عصر من العصور فقد فسدوا وفسد زمانهم .. فيجد المسلم – المحافظ على دينه المتمسِّك بعقيدته – نَفْسَه وحيدا بين الناس ، غريبا عنهم ، لا يتمكن من العيش فى سلام .. تُوضَعُ العقبات فى طريقه ، ويُحَارَبُ فى رزقه ، ويُسْخَرُ منه ويُسْتَهزَأُ به .. فيصبح – بتمَسُّكه بدينه – كالقابض على قطعة من النار بيده .. لذلك يبشِّرُ النبى ﷺ المتمسِّكِين بدينهم فى ذلك الزمان بأجر يُساوى أجر خمسين رجلا من الصحابة ؛ لأنه لا يجد على الحق نَصِيرًا ، وكان الصحابة (رضوان الله عليهم) يجدون على الحق نَصِيرًا .. ويأمر النبى ﷺ من يعاصر ذلك الزمان أن يعتَزِل الناس ، وأن يهتمَّ بإصلاح نفسه ، ومن يتولى أمرهم من زوجة وولد ، ويمتنع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ إذ لن يكون هناك سميع له

ولا مُجيب ، وسوف تذهب محاولاته أدراج الرياح ، وخير ما يهديه فى ظلمات ذلك الزمان هو سُنَّة النبى ﷺ وسُنَّة أصحابه (رضوان الله عليهم) ، وهذا ما يُؤَكِّده قول النبى ﷺ :

٥ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لاَ يزِيغُ عَنْهَا بَعْدِى إِلا هَالِكٌ ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِى ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِزِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ .(٢)

والبيضاء هى سُنَّة النبى ﷺ الواضحة الجليَّة .. مَنْ تركها هلك ، ومن تمسَّك بها نجا .. فما من خير فى العاجل والآجل إلاّ وقد بيَّنته السُّنَّة وأَمَرَت به ، وما من شَرٍّ فى العاجل والآجل إلاّ كشفته السُّنَّة وحذرت منه .. والسُّنَّة مُدَوَّنة بفضل «الله» فى كُتُب الحديث وشروح العلماء فلا عذر لأحد.. كما يأمر الحديث بطاعة الحكَّام– فى غير معصية «الله»– وعدم الخروج عليهم حتى لا تكون فِتْنَة .. ويشبِّه المؤمن بالجَمَل الذى أصيب فى أنفه (الأنف) ، وقد وضعت حديدة اللجام فيه فينقاد حيث قاده راكبه ؛ لأن أى شرود عن ذلك يضرُّ الجرح ، ويزيده ؛ فلا يزداد الجمل بشروده أو امتناعه إلاّ ألما فوق ألم .. **والمؤمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ ، لا يُورِد نَفْسَه مَوَارِدَ التهلُكَةِ .**

---

(٢) أخرجه ابن مَاجَةَ ح : ٤٣ ، ١٦/١ عن العِرْبَاضِ (رضى الله عنه) ، وأَحْمَد ، وَالحَاكِم .

٦ **أَتَانِي جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – فَقَالَ : يامُحَمَّدُ ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ الله ، فَقُلْتُ : آمِين .. وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ ، أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ الله ، فَقُلْتُ : آمِين .. وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ الله ، قُلْ : آمِين . فَقُلْتُ : آمِين .**[1]

الحديث يتضمَّن ثلاثة أمور تُفْتَحُ بها أبواب الرحمة .. **أولها** : من أدرك شهر رمضان المبارك فقام بما يجب عليه ؛ خرج منه كيوم ولدته أمه ؛ ذلك أن أوَّله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عِتْق من النار .. وقد اختصَّه الحق تبارك وتعالى بإنزال القرآن فيه ؛ لذلك كان من أفضل العبادات فيه بعد الصيام قراءة القرآن وقد أُنْزِلَ القرآن ليلا : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2] .. ففضل لَيْلِ رمضان أكثر من نهاره وفيه ليلة القدر .. والصيام نهارا تأهيلٌ للنَّفْسِ والروح للقيام ليلا ، وقد فرض «الله» صيام رمضان ، وسنَّ النبى ﷺ قيام ليله .. فمن أدرك رمضان ولم يغتنم الفرصة فلم يُغفر له فقد حُرِمَ وأُبْعِد ..

(١) ابن حِبَّان عن مَالكٍ بن الحَسَنِ بن مَالِك بن الحُوَيرث عن أبيهِ عن جَدِّه (رضى الله عنهم) .
(٢) القَدر : ١ .

وثانيها:وجود الأب والأم فى حياة الإنسان نِعمة كُبرى لأن من برّهما غُفِرَ له ، ومن عقَّهما أبعده «الله» عن رحمته .. وقد أمَّن الرسول ﷺ على دعاء جبريل عليه السلام فى الأولى والثانية وسكت فى الثالثة تواضُعا «لله» ورحمة للأمة .. فقد يغفل الإنسان عن الصلاة على النبى ﷺ إذا ذُكِرَ أمامه ، ولكن جبريل أمره بالتأمين على الثالثة فأمَّن ﷺ .. وذلك لأن الصلاة عليه ﷺ يستفيد منها المصلى ، أما هو ﷺ فلا يستفيد منها شيئا ؛ فقد صلى «الله» وملائكته عليه منذ الأزل : ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَآئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...**﴾[٣] ولذلك قال ﷺ مُنَبِّهًا : «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[٤] .. وصلاة «الله» على العبد هى : العِنَاية ، والرعاية ، والهداية ، والمغفرة فبالصلاة على الحبيب ﷺ يغفر لك .. وقد تأكدت هذه الأمور الثلاثة فى قول النبى ﷺ :

٧ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ .[٥]

---

(٣) الأحْزَاب : ٥٦ . (٤) رواه مُسْلِمٌ ، والترمِذِىُّ ، والنَّسائِى ، وأحمد عن أبى هُرَيرَة (رضى الله عنه) .
(٥) أخرجه الترمِذِى ، ك : الدعوات ، ب : ١١٠ ، (٣٦١٣) ، ٥٣٠/٩ (تُحفةُ الأحوذى) عن أبى هُرَيرة (رضى الله عنه) .

وهو بيانٌ لما يُصيب مَن لم يَغْتَنم هذه الفُرَص الثلاث من : ذِلَّة ، وصَغَار وكأن أنفه قد التصق بالتراب .. كما يُؤَكِّد النبى ﷺ على أهمية رضاء الوالدين وخاصة حال الكِبَر ، وأن ذلك سبب لدخول الجنة فيقول :

٨ | رَغِمَ أَنْفُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ : مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ : أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ .(٦)



(٦) عن أبى هُرَيْرَة (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ (٢٥٥١) بزيادة سُؤال : من يارسول الله ؟! .

٩ **أَتَى اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ، آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَقَالَ لَهُ : مَاذَا عَمِلْتَ فِى الدُّنْيَا ؟ قَالَ ﴿وَلاَيَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ : يَارَبِّ ، آتَيْتَنِى مَالاً ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِى الْجَوَازُ ، فَكُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِى .**[1]

الحديث يُبَشِّرُ التاجر الأمين القنوع بالتجاوز عن زلاَّته ، ومغفرة ذنوبه إذا كان مُتَجاوزا فى تعامله مع الناس ، رحيما بهم ، سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا قضى ، سمحا إذا اقتضى .. إذا تعامل مع الموسِر لم يطمع فى غِناه ، وإذا تعامل مع المعْسِر يَسَّرَ عليه ، ولم يشتد فى مطالبته ... فإذا كان كذلك كان جديرا بأن يعامله «الله» بالمثل فيتجاوز عنه .. وهناك من هو من أصحاب الجنة بسبب حسن معاملته للناس ؛ فالدين المعاملة ويُشِير إليه قول النبى ﷺ :

(١) أخرَجَه مُسْلِمٌ فى صَحِيحِهِ ، ك : المُسَاقَاة والمُزَارعة ، ب : فضل إنْظَار المُعْسِر والتَّجَاوُز فى الاقتضاء ، جـ ٧٠/٤ ، ٧١ (شرح النووى) عن حُذَيفة (رضى الله عنه) ، وقال عُقْبة بن عامر الجهنى وأبو مسعود الأنصارى : هكذا سمعناه من فِىّ رسول الله ﷺ .

١٠ إِنَّ رَجُلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ؟ قِيلَ لَهُ : انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّى كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِى الدُّنْيَا ، فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ .[٢]

وهذا رجل لم يجد فى حياته عملا طيِّبا يشفع له لتَقْبِضَ روحه ملائكةُ الرحمة وليس ملائكة العذاب ... فأمهله المَلَك ليبحث و لم يعجل عليه كما كان يمهل الناس فى حياته فقد كان كريما فى تعامله لا يستغل الغَنِىَّ فيتعجله حقه ، ولا يقهر الفقير فيثقله بدَيْنِهِ ، بل كان يتصدَّق عليه عملا بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وأَنْ تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣] .. فأدخله «الله» تبارك وتعالى الجنة ، ورَحِمَه بسبب رحمته للناس .



(٢) أخرَجَه البُخارىُّ ، ك : البيوع ، ب : مَنْ أَنْظَرَ مُوسِرًا ٣٠٧/٤ (٧٧) عن حُذَيفة (رضى الله عنه) ، ومُسْلِمٌ بمعناه (تخريج الحديث السابق) . (٣) البقرة : ٢٨٠ .

الإفْــــلاسُ الحَقِيقِــــيُّ

١١ أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟! إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : بِصَلاَةٍ ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ .. وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ .(١)

للإنسان فى هذه الحياة ثلاث علاقات : **علاقة مع نَفْسِهِ** فإن خانها فهو الخاسر .. **وعلاقة مع رَبِّه** فإن قصَّرَ فيها فَقَد يُلْهَمُ التوبة ويتوب «الله» عليه ، أو قد تزيد حسناته عن سيئاته فينجو ولو بحَسَنَة واحدة .. **وعلاقة مع الناس** لابد فيها أن يراعى الحقوق ؛ فإن «الله» يبتلى العباد بعضهم ببعض ، وقد حَرَّمَ «الله» التظالُم بين الناس ، وجعل كل المسلم على المسلم حرامًا : دمه ، وماله ، وعرضه .. فإن حدث ظلم من أحد لأحد وجب عليه أن يَرُدَّ الحق لصاحبه ، أو يطلب منه السماح .. فإن لم يحدث أتى يوم القيامة حيث لا ظلم

---

(١) عن أبى هُرَيرَة (رضى الله عنه) رواه مُسلِمٌ فى صَحِيحِه برقم (٢٥٨١) بزيادة (قالوا : المفلس فينا مَنْ لا دِرْهَمَ له و لا مَتَاع) .

ولا تظالم فيقضى «الله» بين العباد بالحق ، وينتصف للمظلوم من الظالم ؛ فيأخذ من حسنات الظالم يُعوِّض بها المظلوم ، وكلما كثر عدد مَنْ ظلمهم نقصت حسناته حتى تفرغ فَيُؤْخَذ من سيئات المظلوم ؛ فتُطْرح عليه ؛ ثم يُطرح فى النار ؛ فيدخل المظلوم الجنة بحسنات الظالم ، ويدخل الظالم النار بسيئات المظلوم .. وهذا إفلاس ليس بعده إفلاس .

ولذلك كان الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وعمل لما بعد الموت ، وابتعد عن إيذاء الناس : بيده ، أو بلسانه : فلا يغتاب أحدا ، ولا يَسُبُّ أحدا ، ولا يعترض على أحد ؛ فيحتفظ بحسناته ليوم قد ينجو فيه بحَسَنَة واحدة ترجح بها كفَّة حسناته ولذلك يقول النبى ﷺ :

١٢ إنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إيمَانًا ، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ .[٢]

والإيمان المقصود فى الحديث هو ما وَقَر فى القلب وصدَّقه العمل .. والإيمان يزيد بالعمل الصالح ، وينتقص بالعمل السَّيِّئ .. ومن كان حسن الخلق ، لطيفا بأهله ؛ يأتى يوم القيامة وحسناته كاملة لا يُؤْخَذ منها شىء ؛ فليس لأحد عنده مَظْلَمة ؛ لذلك كان كامل الإيمان .. ويوجِّه النبى ﷺ نصيحة غالية لأمته فيقول :

---

(٢) عن عائشة (رضى الله عنها) الترمذى ك : الإيمان ، ب : ٦ ، (٢٧٤٣) ٣٥٣/٧ :٣٥٧ (تحفة الأحوذى) .

١٣ اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ .[٣]

فعلى الإنسان أن يضع تقوى «الله» نَصْبَ عينيه دائما ؛ إذ هى مِلاَك الأمر ؛ لأن من خاف غضب «الله» وسخطه ابتعد عن المعاصى ، وسلك سُبُل الطاعة ، وراقب نَفْسَه .. فإن وقع فى معصية سارع بالاستغفار والعمل الصالح حتى يمحو أثرها عملا بقول الحق تبارك وتعالى :

﴿... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ...﴾[٤] ..

وكذلك تَعَامَل مع الناس : بالحِلْم ، والعَفْو ، والكَرَم ، وحَسِّنَ أخلاقه معهم وقد قِيلَ :

أَلْسِنَةُ الخَلْقِ سِهَامُ الْحَقِّ .



(٣) عن أبى ذَرٍّ (رضى الله عنه) أخرجه الترمِذِى ك : البِرّ والصِّلَة ب : ٥٤ ما جاء فى مُعَاشَرة النَّاس (٢٠٥٣) ٦/١١٢ (تُحفَةُ الأحوذى) ، وأحمد ، والحاكِم ، والبَيْهَقِى .

(٤) هُود : ١١٤ .

ظُلُمَـاتُ يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ

١٤ اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ .[1]

الحديث يُحَذِّر من الظُّلْم .. وقد حرَّم «الله» تبارك وتعالى الظُّلْم على نَفْسِهِ ، وهو الذى لا يُسْأَل عما يفعل .. ولا يُتَصوَّر من «الله» ظلم أصلا ، ومع ذلك نفى عن نفسه إرادة الظلم فقال : ﴿...وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[2] .. وظُلُمات الدنيا أمرها هيِّن ، أما ظُلُمات يوم القيامة فشأنها خطير ؛ إذ الصراط منصوب على حافتى جهنَّم ، وهى سوداء مُظْلِمة ، ولا يتمكَّن من الجواز إلاّ من كان له نور :

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ يسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ...﴾[3] .. وقد جمع الحديث بين الظلم والشُّحِّ وكأن الشُّحَّ سبب رئيسى للظلم ؛ إذ يحمل صاحبه على سفك الدماء ، واستحلال المحارم لتحصيل المال من أى طريق ، ومنع الحق عن مستحقيه ضنًّا بما عنده .. والظُّلْم درجات، وأعلى درجات الظلم

---

(١) عن جابر (رضى الله عنه) رواه الإمام مُسْلِمٌ فى صحيحه برقم (٢٥٧٨) .
(٢) غافر : ٣١ . (٣) الحديد : ١٢ .

الشِّرك : ﴿... إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤] .. ثم تتفاوت درجات الظُّلم بين العباد بحسب وضع الظالم ، وبحسب ما اغتصب من حقوق الغير .. فلو كان الظالم ذا منصب ، أو يتولَّى من أمر الناس شيئا كثرت مظالمه ؛ والرسول ﷺ يُحذِّر أولى الأمر ، ويدعو على من ظلم منهم فيقول :

١٥ اللَّهُمَّ مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ؛ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ؛ فَارْفُقْ بِهِ .[٥]

ودعاء النبى ﷺ مُستجاب .. فكل من أتعب من بيده أمرهم أو مصالحهم ولم يُيسِّر لهم مطالبهم ويُسهِّلْ لهم الحصول على حقوقهم مُعَرَّضٌ لأن يَشُقَّ «الله» عليه : فى حياته ، وفى حِسَابه يوم القيامة ؛ فتتعطَّل مصالحه فى الدنيا ، ويُصاب فى : أولاده ، وصِحَّته ، وتتعسَّر أموره ، ثم يلقى حِسابا عَسِيرًا يوم القيامة ، ولا يتجاوز «الله» عنه .. أما إذا رفق بالناس ، وسهَّلَ لهم أمورهم ، ويسَّرَ لهم الحصول على مطالبهم ؛ فسوف يُيَسِّرُ «الله» له أموره فى الدنيا ، ويحاسبه يوم القيامة حِسَابا يَسِيرًا .. فإِنَّ البِرَّ لا يَبْلَى ، والذَّنْبَ لا يُنْسَى ، والدَّيَّانُ لا يَمُوت ، وكما تَدِينُ تُدَانُ .. وأخطر درجات الظلم بين العباد هو سفك الدماء بغير حق، ويُبَيِّن النبى ﷺ خطورة القتل فيقول :

---

(٤) لُقْمَان : ١٣ .

(٥) عن عَائِشَة (رضى الله عنها) رواه الإمام مُسْلِمٌ فى صحيحه برقم (١٨٢٨) .

١٦ لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ .[٦]

ويقول ﷺ :

١٧ لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ .[٧]

وإذا كان زوال الدنيا بما فيها من : بحار ، وأنهار ، وجبال ، وأودِيَة ، وأشجار ، ونجوم ، وكواكب .. وما إلى ذلك ... أهون عند «الله» من قتل مُسْلِم أو مؤمن بغير حق فلا شك أن عُقوبة القاتل تفوق الخيال ، والأخطر من ذلك أن باب التوبة مُغْلَق أمام قاتل المؤمن بغير حق مع أن «الله» يغفر الذنوب جميعا غير الشِّرْك ، ومن تاب يتوب «الله» عليه لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ ...﴾[٨] .. ولكنه يقول أيضا : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٩] .. ولم يستثن مَنْ تاب مِنْ هذا العقاب الذى لا يفوقه عذاب .. وقد سأل رجل السيدة رابعة العدويَّة ، هل لو تبت يتوب «الله» علىّ ؟ قالت : لا بل لو تاب «الله» عليك لتُبت ثم قَرأَت :

---

(٦) عن ابن عُمَر (رضى الله عنهما) رواه مُسْلِمٌ ، والترمِذِى ، والنَّسَائِى . ذكره السُّيوطى فى جامع الأحاديث (١٧٠٠٦) جـ ٢٦٨/٥ .

(٧) عن الْبَرَاء (رضى الله عنه) رواه ابن مَاجَة ذكره السُّيوطى (١٧٠٠٧) جـ٢٦٨/٥ (جامع الأحاديث) . (٨) النِّسَاء : ٤٨ . (٩) النِّسَاء : ٩٣ .

﴿... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ...﴾[١٠] ..

إذًا لكى يتوب العبد لابد أن يوفِّقه «الله» للتوبة أولا .. وقاتل المؤمن لا يُوفَّق للتوبة فرسول الله ﷺ يقول :

١٨ أَبَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةً .[١١]

وكلمة (أبى) تعنى الامتناع عن الفِعْل مع القُدْرة عليه .. وبذلك لا يكون هناك تعارُض : فمن تاب يتوب «الله» عليه ، ولكن كيف يتوب العبد ما لم يوفِّقه الله للتوبة ؟! هذا وكل مشارك فى قتل مُسْلم بغير حق عليه نفس الوِزْر .. بل ويحذِّر النبى ﷺ من يستطيع أن يدفع الظلم عن المظلوم ولا يفعل فيقول :

١٩ لاَ يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا ؛ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ مَنْ حَضَرَ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ ، وَلاَ يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا ، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ .[١٢]

---

(١٠) التوبة : ١١٨ .

(١١) عن أنس (رضى الله عنه) رواه الطَّبَرَانى،والضياء فى المختارة ، ذكره الإمام السُّيوطى (٦٦) جـ١/٣٠ (جامع الأحاديث) . (١٢) عن ابن عبَّاس (رضى الله عنهما) رواه الطَّبَرانى،والبَيْهَقِىّ ، ذكره الإمام السُّيوطى فى جامعه (٢٧٠٧٤) جـ٧/٥١٧ .

سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ

٢٠ سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ :
اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا استَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ ، وأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِى ؛ فَاغْفِرْ لِى ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ — مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .. وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .[1]

هذا الحديث رحمة كبرى من «الله» ساقها على لسان حبيبه المصطفى ﷺ .. فكل ابن آدم خطَّاء ، وخير الخطَّائين التوَّابون .. وصيغة هذا الاستغفار : فيها إقرار بالربوبية ، وإقرار بالألوهية ، وإقرار بالتوحيد وكأن الإنسان يجدد إيمانه ويجدد العهد مع «الله» — ثم الإقرار بالعبودية «لله» وبالضعف والاعتراف بالنِّعَم — وأجلها نعمة

---

(١) عن شدَّاد بن الأوْس (رضى الله عنه) رواه البُخاريُّ ك : الدعوات ، ب : ٢ – أفضل الاستغفار (٦٣٠٦) .

الإسلام – والاعتراف بالذنب ، والندم عليه ، والاستعاذة بـ«الله» من آثاره فى الدنيا والآخرة ، وطلب المغفرة مع الاعتقاد بأن «الله» هو الذى يغفر الذنب ويأخذ بالذنب .. فإن استغْفَرَ العبد بهذه الصيغة وهو مُوقِنٌ بكل ما جاء فيها غُفِرَ له على ما كان منه ، وكان من أهل الجنة بفضل «الله» .

هذا ، وعلى العبد أن يداوم على الاستغفار ، واللجوء إلى «الله» حتى يُقْلِعَ عن ذنوبه ، وعليه أن يُخْفِى معصيته عن الناس ، ولا يفْضَح نَفْسَه بالحديث عن معصيته بعد أن سَتَرَه «الله» فالنبى ﷺ يقول :

٢١ اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ الَّتِى نَهَى اللهُ عَنْهَا ، فَمَنْ أَلَمَّ بِشَىءٍ مِنْهَا فَلْيَسْتَتِرْ بِسَتْرِ اللهِ ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ .[٢]

وهذا يعنى أن العبد لو ارتكب ذنبا من الذنوب التى يقام عليها الحَدُّ[٣] .. فعليه أن يستتر بسَتْر «الله» عليه ، ولا يُحَدِّث أحدا بذنبه .. فإن كان من حقوق «الله» عز وجل كالزِّنا مثلا تاب وأناب وستر نَفْسَه ؛ لأنه لو أقر بذنبه وَجَبَ إقامة الحَدِّ عليه .. وإن كان

---

(٢) عن ابن عُمَر (رضى الله عنهما) رواه الحَاكِم ، والبَيْهَقِى ، ذكره الإمام السُّيوطِى فى جامِعِه (٤٨٤) جـ١/١١٩ ، ١٢٠ . (٣) الحدود : عقوبات مُقَدَّرة وجَبَتْ على الجانى : كقطع اليد للسارق ، والجَلْد لشارِب الخمْر، والجَلْد للزَّانى والزانِيَة (غير المتزوجين) والرَّجْم حتى الموت للزَّانى والزَّانية (المتزوجين).

الذنب مُتعلِّقا بحقوق العباد ؛ فعليه بِرَدِّ الحقوق إلى أصحابها حتى تَصِحَّ توبته .. وفى كل الأحوال على الإنسان أن يبتعد عن الحرام بقدر استطاعته ، وكذلك يبتعد عن المُشْتَبِهَات - وهى الأمور التى اختلفت الآراء بشأنها : أحلال هى أم حرام ؟ - حتى يضمن لدينه السلامة .. فإن من يجترئ على المُشْتَبِهَات يوشك أن يقع فى الحرام . وقد كان الصالحون من السَّلَف يجتنبون بعض المباحات وَرَعًا حتى لا تستمرئ النفس المباح فتستكثر منه مما قد يُوقع الإنسان فى المحظور .. ونبيُّنا ﷺ يُنَبِّهُ لذلك ، وينصح الأُمَّة فيقول :

٢٢ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرًا مِنَ الْحَلاَلِ ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ أَرْتَعَ فِيهِ كَانَ كَالْمُرْتِعِ إِلَى جَنْبِ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، وَإِنَّ حِمَى اللهِ فِي الأَرْضِ مَحَارِمُهُ .[٤]



(٤) عن النُّعْمَانِ بن بَشير (رضى الله عنه)رَوَاه ابنُ حِبَّان ، والطَّبَرانِيُّ ، ذكره السيُوطِى (٤٩٢) ١/١٢١ (بجامع الأحاديث) .

الصَّـــلاةُ نُـــورٌ

٢٣ الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ .. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ .. وَسُبْحَانَ الله والْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَو تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ .. والصَّلاَةُ نُورٌ .. والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ .. والصَّبْرُ ضِيَاءٌ .. والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ .. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ؛ فبَائِعٌ نَفْسَهُ ؛ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا .[1]

الطهارة قسمان : طهارة حِسِّيَّة وهى : طهارة البَدَن من الأقذار ، والحَدَثَيْن : الأصغر ، والأكبر أى : نواقض الوضوء والجنابة .. وطهارة **مَعْنَوِيَّة** هى : طهارة القلب من الغِلِّ ، والحِقْد ، والحَسَد ، والكراهِية ، وما إلى ذلك من أمراض تُؤَثِّر على سلامة القلب .. وطهارة البدن تشكل نِصْفَ الإيمان ؛ إذ إن الوضوء سلاح المؤمن ، وطهارة القلب تشكل النصف الآخر ، فمن حاز الطهارتين كان كامل الإيمان ..فإذا أَقَرَّ العبدُ بِنِعْمَةِ «الله» عليه ، ونَطَق لسانُهُ بالحَمْدِ ؛ امتلأ ميزانه بالحَسَنات .. فإن أضاف إلى ذلك تنزيه «الله» عز وجل عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله بقول : «**سُبْحَانَ الله**» فكأنما

(١) عن أبى مَالِكٍ الأشعَرِىّ (رضى الله عنه) رواه مُسْلِم : ك : الطهارة بأفضل الوضوء . (شرح النووى ٥٠٠/١) وكذلك رواه الترمذى ، وأحمد .

ملأ ما بين السماء والأرض بالحسنات .. فإذا واظب على الصلاة كانت له نورا فى حياته ، وفى قَبْره ، وعلى الصراط يوم القيامة ؛ لأن الصلاة عماد الدِّين ؛ من أقامها فقد أقام الدِّين ، ومَنْ تركها فقد هدم دينه .. وهى أوَّل ما يُسْأل عنه العبد يوم القيامة ؛ فإذا صَلُحَت صلح سائر عمله ، وإذا فَسَدَت فَسَدَ سائر عمله ، وهى الصِّلَة بين العبد ورَبِّه ، وهى مفتاح الخيرات ، وكفَّارة السيئات .. فالصلاة إلى الصلاة كفَّارة لما بينهما ، وهى مِعْرَاج العبد إلى رَبِّه ؛ يُعْرِجُ برُوحِه إلى الملأ الأعلى ؛ فتفتح له أبواب السماء ، وهى مناجاة من العبد «لله» ، وعلامة الخضوع والتذلُّل «لله» ، والتقرُّب منه ؛ فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .. وإذا تصدَّق العبد من ماله ؛ كان ذلك برهانا على ثِقَته بما فى يد «الله» ويقينه بأن ما عنده ينفد وما عند «الله» باق .. وصدقة السِّرِّ تُطفِئ غضب الرب .. ومِن السبعة الذينْ يظلهم «الله» بظِلِّهِ يوم القيامة رجل تَصَدَّق بصَدَقَةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شمالهُ ما أنفقت يَمِينُه .. كما أن الصدقات تُداوى الأمراضَ البدنِيَّة والقلبِيَّة ، وتضاعف المال وتنمِّيه ؛ فما نقص مَالٌ مِنْ صَدَقة .

والإنسان فى هذه الحياة مُمْتَحَنٌ بالخير والشرِّ ، فإن أصابته ضراء فَصَبَرَ كان الصبر له ضياء ؛ يُنِير له الطريق ، ويكشف له عن الحِكْمة فيما أصابه ؛ فقد يتبيَّن له أن ما أصابه كفَّارة لبعض الذنوب التى غفل عنها فيستغفر «الله» منها ، ويرضى بما أصابه من بلاء فى هذه الدنيا الفانِيَة ؛ حتى لا يُعاقَب على ذنوبه فى الآخرة بما لا يستطيع أن يتحمَّله ، فما من وَصَبٍ ، ولا نَصَبٍ يُصِيب المسلم فى : بدنه ،

أو ماله ، أو عياله ، إلاّ ويكفِّر «الله» به عن سيئاته ، ويرفع من درجاته .. والصابرون قد بشَّرهم «الله» فى كتابه العزيز وهم من الذين يُوَفَّونَ أجرَهم بغير حساب .

والقرآن حُجَّةٌ لِلعَبْدِ أو حُجَّة عليه .. فمَنْ عمل بما جاء فيه ؛ كان حُجَّة له يوم القيامة ، وشفيعا .. ومَنْ تركه وراء ظهره ؛ كان حُجَّة عليه ، وشهيدا .. والقرآن كلام «الله» ، وخطابه إلى عباده ، ورسالته إليهم .. ويتكرَّر النداء فيه لكل مَن يصلح للخطاب على اختلاف أنواعهم : ﴿يَاأَيُّها النَّاسُ ...﴾ .. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ...﴾ .. ﴿يَاأَيُّها الإِنْسَانُ ...﴾ .. ﴿يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ آمَنُواْ ...﴾ .. ﴿يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ...﴾ .. ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ ...﴾ .. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ .. ﴿يَابَنِى آدَمَ ...﴾ .. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ...﴾ .. ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ...﴾ .. ﴿يَابَنِى إِسْرَآئِيلَ ...﴾ .

لذلك فليس لأحد عُذْر ، ولن يخرج إنسان على وجه هذه الأرض من أحد هذه النداءات .. وعليه فالقرآن حُجَّة للإنسان ؛ إذا استجاب للنداء ، ووَعى الخِطاب .. أو حُجَّة عليه ؛ إذا أصمَّ أذنه عن النداء ، ولم يستجب للخِطاب .. ويترتَّب على كل ذلك أن ينقسم الناس إلى فريقين : فريق باع نَفْسَه «لله» ؛ فأعتقها من العذاب .. وفريق باع نَفْسَه للشيطان ؛ فأهلكها وأوجب عليها العذاب .

٢٤ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِى مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِى الْعُمْرِ .(١)

صنائع المعروف عديدة ومُتَنَوِّعَة منها : عيادة المريض ، وإغاثة الملْهُوف ، والسعْى فى حوائج الناس لقضائها ، وحُسْن الجوَار ، وصِدْق المشُورَة ، وإقراض المحتاج ، وقضاء ديون الغارمِين .. إلخ . وهذه الأعمال التى يبتغى بها صانعها وجه «الله» تَقِيه مصارع السوء التى يخشاها كل إنسان .. فَمِنْ مصارع السوء أن يموت الإنسان على مَعْصِيَة ، ويُفْتَضَح أمره .. أو يموت بعيدا عن بيته فى حادث مثلا ، أو على قارِعَة الطريق ، وما إلى ذلك .. فإن كان من صانعى المعروف سَتَرَهُ «الله» عز وجل ، وسخَّر له مَنْ يتكفَّل بأمره ؛ فيتم بأفضل مما كان يمكن لأهله وأولاده أن يفعلوه له .. وصدقة السِّرِّ هى التى لا يراها إلاّ «الله» فتكون خالصة لوجهه الكريم ، ولا يشوبها رياء ، ولا حُبُّ الثناء ؛ فتُذْهِب غَضَب «الله» عز وجل كما يطفئ الماء النار .. فيرضى «الله» عن العبد ، ويغفر له ذنوبه ، ويمحوها من صحائفه ، ويُنْسيها جوارحه ؛ فلا تشهد عليه يوم القيامة .. وهو

(١) عن أبى أُمَامَة (رضى الله عنه) رواه الطَّبَرَانِىّ ، ذكره السُّيُوطِىّ فى جامعه (١٣٥٦٦) جـ٤/٤١٩ .

القائل سبحانه : ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ...﴾[٢] .. أما صِلَة الرَّحِم فهى تزيد فى عمر الإنسان .. وهذه الزيادة قد تكون بالبَرَكة فى العمر بمعنى أن الإنسان يتمكَّن من إنجاز كل ما يُريد من تربية أولاده حتى يعتمدوا على أنفسهم ، ويحصُل على كل ما يُريد من الدنيا ، ويُصبح زاهدا فيها مُقبلا على «الله» تبارك وتعالى ، راغبا فى لقائه ، لا يرى فائدة مِنْ بقائه فى الدنيا ، فيأتيه الموت وهو مشتاق إليه ، مطمئن لرحمة المولى عز وجل .. وقد تكون زيادة العمر بالذكر الطيب بعد الوفاة ؛ فكأنه بين الأحياء بدوام ذكره ، والترحُّم عليه ، وذكر محاسنه ، والاستغفار له .. وكل ذلك يضاف إلى رصيد حَسَنَاته ، وكأنه ما زال فى الدنيا يعمل بطاعة «الله» .. وقد تكون الزيادة فى العمر حقيقية كأن يقدر له عشر سنوات زائدة فى عمره مثلا إن وَصَلَ رَحِمَه .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول : ﴿... إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣] .. وهذا الأجل فى اللوح المحفوظ لا يتقدَّم ولا يتأخَّر .. وعلى ذلك تكون الزيادة مُقدرة أزلا بِعِلْم «الله» الأزلى أن العبد يصل رَحِمَه ويُوَفَّق لذلك ، وقد ينقص من عمره لعلم «الله» الأزلى بأنه يقطع رَحِمَه ولا يَصِلُها .. وهذه الأقوال الثلاثة للعُلَماء قد تجتمع كلها لمن يَصِلُ رَحِمَه .. ومِنْ صِلَة الرَّحِم أن تنفق على الفقراء منهم .. فتُحْتَسَب لك الصدقة مُضاعفة لقول النبى ﷺ :

---

(٢) البَقَرة : ٢٧١ .　　　　(٣) يُونُس : ٤٩ .

٢٥ الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِى الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ .(٤)

وكلما كان الإنفاق على الفقراء من الأقارب كان أفضل فالأقربون أولى بالمعروف .. وكلما كان ذو الرحم متباعدًا عنك غير مُقَدِّر لما تصنعه معه من معروف ، غير شاكر لك ، متعاليًا عليك ، مُسْتكبرًا كانت صدقتك عليه خالصة لوجه «الله» ، عظيمة الأجر والثواب ؛ لقول المصطفى ﷺ :

٢٦ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ : الصَّدَقَةُ عَلَى ذِى الرَّحِمِ الكَاشِحِ .(٥)

وربُّنا تبارك وتعالى لا يُكَلِّف نَفْسًا إلاّ وسعها .. والصدقة تكون بقدر ما يطيق الإنسان فالواجب أن يكتفى الإنسان أولا ثم يكفى من تلزمه نفقتهم كالزوجة ، والأولاد من الضرورات ولا يبخل عليهم ؛ فإنه يثاب على ذلك ، ثم يتصدَّق على قدر طاقته ورسول الله ﷺ يبيِّن ذلك فيقول :

٢٧ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى ،

(٤) عن سَلْمَان بن عَامِر (رضى الله عنه) الترمِذِى ك : الزكاة ، ب : ٢٦ ح (٦٥٣) ٣/٣٢٤ (تُحفَة الأحوَذِى) وقال:حسن ، والنَّسَائِى ك : الزكاة ٥/٩٢ . وكذا رواه أحمد ، وابن ماجة . (٥) عن أبى سَعِيدٍ (رضى الله عنه) رواه البخارى فى الأدب المفْرَد ، والترمِذِىُّ ، وأبو داود . وعن أبى أيُّوب وعن حَكِيم بن حِزَام (رضى الله عنهما) رواه أحمد والطَّبرانىُّ، وعن أم كُلْثوم (رضى الله عنها) رواه الطبَرانىُّ والحاكم فى المستَدرك . ذكره السُّيوطىُّ فى جامعه برقم (٣٥٢٢) جـ١/٦٧٦ .

وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .(٦)

والمسَارَعَة بالصدقات مطلوبة ؛ فالإنسان لا يدرى متى يجىء الموت ؛ وربُّنا تبارك وتعالى يُنبِّه لذلك فيقول : **﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**(٧) .. وأفضل الصدقة ما يتصدق به العبد وهو فى تمام صحَّته ، يأمل فى طول الحياة ، ورَغَد العيش ، وليس حين يمرض مرض الموت ، ويصبح ماله أقرب لورثته منه ؛ لقول النبى ﷺ :

٢٨ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ ، شَحِيحٌ ، تَخْشَى الْفَقْرَ ، وتَأْمُلُ الغِنَى .. وَلاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ – قُلْتَ : لِفُلاَنٍ كَذَا ، وَلِفُلاَنٍ كَذَا ، أَلاَ وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ .(٨)

وطبيعة الإنسان مجبولة على الشُّحِّ – إلاّ من يُنجيه «الله» من هذا الداء الخطير – يُحِبُّ المال ويجمعه ، وهو لا يدرى أنه يجمعه لغيره ؛

---

(٦) عن حَكِيم بن حِزَام (رضى الله عنه) رواه مُسْلِم بدون (ماكان) ك : الزكاة ب : اليد العليا خير من اليد السفلى جـ٣/٧٤ (شرح النووى) . (٧) المُنَافِقُونَ : ١٠ . (٨) عن أبى هُرَيْرة (رضى الله عنه) أخرجه البخارى بألفاظ متقاربة ك : الزكاة (١٤١٩) فى فتح البارى : جـ٣/٢٨٥ ، ومسلم أيضا ك : الزكاة فى شرح النووى جـ٣/٧٢ .

فيكون حارسا له حتى يموت ، ويتركه : فَيُسْأَل عنه ، ويتمتَّع به غيره .. ومَالُكَ الحقِيقِيُّ ما أنفقت ، ومال غيرك ما خَلَّفت ، فكيف يحب الإنسان مال غيره عن ماله ؟ وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول :

٢٩ **اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ : مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ .. ومَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ .**[٩]



(٩) عن الحَرْث بن سُوَيد عن عبد الله (رضى الله عنه) رواه النَّسَائى ك : الوصايا جـ٣/٢٣٨ . ط دار القلم.

أَهْـلُ «الله» وخَـاصَّتُـهُ

٣٠ إِنَّ للهِ تَعَالَى أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ : أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ .[(١)]

لا شك أن الحديث مُلْفِت للنظر ؛ ذلك أن «الله» تبارك وتعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نَسَب .. هو ربُّهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافِيَة ، ويدركون ما عنده بالطاعة .. وحين يقول النبى ﷺ : إن أهل القرآن هم أهل «الله» وخاصته ، فهذا يعنى أن حفظة القرآن الكريم لهم منزلة خاصة لا يُدركها غيرهم .. ولا ينالها سِواهم .. وقد ورد أن عدد درجات الجنة بعدد آيات القرآن ، ويقال لقارئ القرآن يوم القيامة : اتْلُ وارْقَ ودرجتك فى الجنة عند آخر آيةٍ تَتْلُوها .. ويشترط لهذه المنْزِلة أن يكُونَ حِفْظُ القُرْآنِ ابتغَاءَ وجه «الله» وليس لغرض آخر كنَيْل الحظوة عند الناس ، أو مجادلة العُلَمَاء ، ومَمَاراة السُّفَهاء ، أو التكسُّب من ورائه ، والارتزاق بقراءته ، أو الغلُوّ فيه بلَوْيِ الألفاظ عن معانيها الظاهرة لتأييد مذهب ، أو لتأكيد رأى .. ورسول الله ﷺ يقول مُنَبِّها :

---

(١) عن أنس (رضى الله عنه) رواه النَّسَائى ، وابن ماجة ، وأحمد ، والحاكم . قال الحافظ عبد العظيم : إسناده صحيح ، وقال الحاكم : يروى من ثلاثة أوجه عن أنس (رضى الله عنه) . (ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٦ . حـ٢/٣٥٤) .

[٣١] اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ .. وَلاَ تَجْفُوا عَنْهُ .. وَلاَتَغْلُوا فِيهِ .. وَلاَتَأْكُلُوا بِهِ .. وَلاَ تَسْتَكْثِرُوا بِهِ .[٢]

كما أن حفظ القرآن دون العمل بما جاء فيه لا يُؤَدِّى إلاّ إلى الهلاك ؛ إذ يُصبح القرآن حُجَّةً على قارئه وليس حُجَّة له .. والقرآن نَزَل مُبيِّنا للأحكام ، مُوضحا للحلال والحرام .. فيه نَبَأ ما قبلنا ، وحُكْم ما بيننا ، وخَبَر ما بعدنا .. من عمل بما جاء فيه فأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه ، وجعله دُستورا له فى حياته قَادَه إلى الجنة ، ومن تركه وراء ظهره ، ولم يعمل بما جاء فيه ساقه إلى النار ؛ إذ إن القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة وهو مُصدَّق فيما يقول : فإن شهد لهم نجوا ، وإن شهد عليهم هلكوا .. وما من شفيع يشفع إلاّ بإذن «الله» له ، ولمن يشفع فيه .. أما القرآن فهو كلام «الله» عز وجل .. وكلامه الحق ، وقوله الصدْق ، وحجته البالغة ، لا ينتظر الإذن بالشفاعة ، ولا ترد شفاعته ، ولا تُغْلَب حُجَّته .. لذا يقول النبى ﷺ :

[٣٢] الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، ومَاحِلٌ(*) مُصَدَّقٌ .. مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ .[٣]

---

(٢) عن عبد الرحمن بن شِبْل (رضى الله عنه) رواه أحمد ، والطبرانِىُّ ، والبَيْهَقِىُّ وأبو يَعْلَى (السيوطى (٣٧٢٩) فى جامعه وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى جـ١ ، حديث (٢٦٠) .

(٣) عن ابن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) رواه الطَّبَرَانِىُّ ، والبيهقى ، وابن حِبَّان فى صَحِيحِه عن جابر (رضى الله عنه) ذكره السُّيوطى فى جَامِعِهِ (١٥٤٩٦) ١٧/٥ .

(*) ماحِلٌ : مُجَادِل أو مُهْلِكٌ .

هذا وقد نَصَحَ رسول الله ﷺ الأُمة بحفظ القرآن ، أو حفظ ما تيسَّر منه .. وقد عمل أصحابه بنصيحَتِه ؛ فكانت صدورهم أوعية للقُرْآن ، وهم الذين جمعُوه ونقلوه إلى التابعين .. ولا يزال القرآن ينتقل من صدور الحفَّاظ إلى صدور الحفَّاظ فى كل زمان ومكان إلى أن يرث «الله» الأرض ومن عليها .. ومَنْ حفظ القرآن وعمل به كان شفيعا له يوم القيامة .. ومَنْ لم يستطع فعليه أن يحفظ سورتى : البقرة ، وآل عمران الملقَّبتين بالزهراوين لنورهما وضيائهما .. فإن لم يستطع فعليه أن يحفظ سورة البقرة التى هى سنام القرآن والجامعة للأحكام ؛ فإنَّ حِفْظَها بركة عظيمة ، وهى حصن حصين لمن حفظها .. وقد جاءت نصيحة الرسول ﷺ الغالية فى قوله :

٣٣ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ .. اقْرَءوا الزَّهْرَاوَيْنِ : الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُما يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَن أَصْحَابِهِمَا .. اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ(٭) .(٤)

كما وأن من أهم الأمور حُبُّ آل بيت رسول الله ﷺ وتوقيرهم ،

---

(٤) عن أبى أُمَامَة (رضى الله عنه) أخرجه مُسْلِم فى صحيحه ك : صلاة المسافرين وقصرها جـ٢/٤٥٧ (شرح النووى) ، وأحمد فى مُسْنَدِه .

(٭) البَطَلَة : السَّحَرَة .. والكلمة مأخوذة من الباطل .

ومعرفة قَدْرهم ، وقد أوصى «الله» عز وجل بمودَّتهم فى كتابه العزيز حيث يقول : ﴿... **قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى ...**﴾[٥] .. وآل بيته ﷺ هم أزواجه ، وذريَّته .. وقد عَلِمْنَا الكثير من أمور ديننا من خلال أمهات المؤمنين ، وما رَوَيْنَه من أحاديث رسول الله ﷺ .. كما أن السيدة فاطمة (رضى الله عنها) إحدى سَيِّدَات نساء العالمين الأربع : مَرْيَم بنت عَمْران .. وآسِيَة بنت مُزَاحِمٍ امرأة فرعون .. وخديجة بنت خُويلد .. وفاطمة بنت محمد .. وأولاد فاطمة رضى «الله» عنها يُنسبون إلى رسول الله ﷺ قبل أن يُنسبوا إلى أبيهم على بن أبى طالب (رضى الله عنه) وذريَّتهم هم ذريته .. وقد خطب النبى ﷺ الناس يوما خطبة مُوَدِّع فأوصاهم بأمرين : أولهما القرآن ، وثانيهما أهل بيته فقال :

٣٤ أَمَّا بَعْدُ : أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبُ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوَّلُهُمَا كِتَابُ «الله» ، فِيهِ الْهُدَى والنُّورُ ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ «الله» تَعَالَى، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ .. وَأَهْلُ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ «الله» فِى أَهْلِ بَيْتِى ، أُذَكِّرُكُمُ «الله» فِى أَهْلِ بَيْتِى .[٦]

---

(٥) الشُّورَى : ٢٣ . (٦) عن زيد بن أرقم (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ، وأحمد عن عبد بن حُمَيد (رضى الله عنه) ذكره السُّيوطى فى جامع الأحاديث ٤٤٤٧ جـ٢/١٢١ ، ١٢٢ .

أَفْـــضَلُ الْجِـهَـــادِ

٣٥ أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ «اللهَ» مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ .. أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا ، وَيَحْيَا مُؤْمِنًا ، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا .. وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا ، وَيَحْيَا كَافِرًا ، ويَمُوتُ كَافِرًا .. ومِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا ، ويَحْيَا مُؤْمِنًا ، ويَمُـــوتُ كَافِرًا .. ومِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا ، ويَحْيَا كَافِرًا ، ويَمُوتُ مُؤْمِنًا .. أَلاَ إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوفِ ابْنِ آدَمَ ، أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ، وانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِن ذَلِكَ فالأَرْضَ الأَرْضَ ..أَلا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الغَضَبِ ، سَرِيعَ الرِّضَا .. وشَرَّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الغَضَبِ ، بَطِيءَ الرِّضَا ، فَإِذَا

كانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيءِ ، وسَرِيعَ الغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيءِ فإنَّها بِهَا .. أَلا إنَّ خَيرَ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ حَسَنَ القَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ ، وشَرَّ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ سَيِّئَ القَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ ، فَإِذَا كانَ الرَّجُلُ حَسَنَ القَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ ، أَوْ كانَ سَيِّئَ القَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ فَإِنَّها بِهَا .. أَلا إنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يومَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ ، أَلا وأَكْبَرُ الْغَدْرِ غَدْرُ أَمِيرِ عَامَّةٍ .. أَلا لا يَمْنَعَنَّ رَجُلاً مَهَابَةُ النَّاسِ أن يَتَكَلَّمَ بالحقِّ إِذَا عَلِمَهُ ، أَلاَ إنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائرٍ أَلاَ إنَّ مَثَلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ ..(1) (مِن خُطْبَةٍ له ﷺ بعدَ صلاةِ العَصْرِ) .

الحديث يشير إلى أمور فى غاية الأهمية ؛ فهو يقسِّم الناس إلى أقسام تبعا لمعادنهم .. ويقسِّمهم تبعا لشهوة الغضب فيهم .. ويقسِّمهم تبعا لمعاملتهم لغيرهم .. ويحذِّر من فِتنة الدنيا والنساء .. ويبيِّن خطورة الغَدْر .. ثم يختم الحديث ببيان أفضل الجهاد والذى

(1) عن أبى سَعِيد الخُدرىِّ (رضى الله عنه) رواه الترمِذىُّ ك : الفِتن ، ب : ٢٤١ ، (٢٢٨٦) جـ٦/٤٢٨ : ٤٣٢ . (تحفة الأحْوَذى) وإسناده صحيح ، وَوَرَدَ أيضا فى صحيح الترمذى للألبانى .

به تنصلح أمور الأمة بصدق النصح للحُكَّام .. وسوف نتناول الحديث بشيء من التفصيل ؛ فهو حديث معجز جامع يدل على أن قائله ﷺ لا ينطق عن الهوى بل هو وَحْى يُوحَى .. وأول الحديث «**أمَّا بَعْد**» وهى تعنى أن النبى ﷺ قد سبقها بأن حَمَدَ «الله» عز وجل ، وأثنى عليه بما هو أهله .. وقد كان ذلك فى خطبة له بعد صلاة العصر .. وهو ليس وقت خُطْبة كخُطْبَة الجمعة ، أو العيدين ، أو يوم عَرَفة ، مما يدل على أهمية الموضوعات التى تناولها الحديث وخطورتها .. وبدأ ﷺ بوصف الدنيا بأنها : خضرة حلوة .. فالمال والبنون ونِعَم الدنيا المتعدِّدة التى زُيِّنَتْ للناس مِصْداقا لقوله عز وجل : ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ والْبَنِينَ والْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ والْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا واللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٢] .. هذه الأمور جعلت الدنيا خَضِرَة فى عُيون الناس الذين غفلوا عن أن الأخضر لا يبقى على خُضْرته فلابد له أن يَيْبَسَ ، وأن الحُلْوَ لا يبقى على حلاوته فقد تعقبه المرارة .. وأن ما على الأرض من زِينة إنما هو فتنة وابتلاء لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[٣] .. لذلك كان التنبيه بأن الإنسان مُسْتَخْلَف فى هذه الدنيا مسئول عما استُخْلِفَ فيه .. وطالما كانت الدنيا استخلافا فهو إلى زوال إذ لو دامت لغيرك ما آلت إليك ثم جاء التحذير منها حتى لا يركن الإنسان إليها أو يجعلها أكبر همه أو مبلغ علمه .. وخصَّ فتنة النساء بالتحذير بعد ما عمَّمه ؛ حيث

---

(٢) آل عِمْران : ١٤ .　　(٣) الكَهْف : ٧ .

هى أكبر الفِتَن وأشدُّها خطرا على الرجال ؛ إذ رغم أنهن ناقصات عقل ودين إلاّ أنهن يذهبن بِلُبِّ الرجل الحازم إذا لم يتَّقِ الوقوع فى حبائلهن .. وقد كانت أول فِتْنَة بنى إسرائيل فى النساء ، والتى قادتهم إلى المهاوى ، والمهالك ، والوقوع فى سائر الفِتَن والمصائب حتى استحلُّوا أموال الغير ، وحرَّفوا الكتاب ، وقتلوا أنبياءهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وهمُّوا بقتل المسيح وصلبه لولا أن رفعه «الله» إليه .

ثم يبيِّن الحديث أن الناس خُلِقُوا على طبقات شتى .. فقد خلق «الله» آدم من تُرَاب الأرض التى منها النفيس والرخيص ، والطَّيِّب والخبيث ، والحزن والسهل ، والأحمر ، والأسود ، والأبيض :

﴿... وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٤] .. **﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ...﴾**[٥] .. من هنا فإن الناس معادن : منهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا .. وهؤلاء هم عبيد الإحسان الذين كان حظهم أن خُلِقُوا من أطيب تُراب الأرض فهم السعداء فى الدارين .. ومنهم من يُوَلدُ كافرا ويحيا كافرا ويموت كافرا وهؤلاء الذين خُلِقُوا من أخبثِ تراب الأرض.. ومنهم من يُولَدُ مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافرا .. وهؤلاء الذين يعملون بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهم من أهل النار لخبث معدنهم وسوء طَوِيَّتهم .. ومنهم من يُولَد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا .. وهؤلاء الذين يعملون بعمل

---

(٤) فاطر : ٢٧ . (٥) الأعْرَاف : ٥٨ .

أهل النار فيما يبدو للناس وهم من أهل الجنة لطيب معدنهم ونقاء سَرِيرَتِهم وخلوص نيَّتهم وتلك أمور لا يعلمها إلاّ «الله» سبحانه وتعالى الحكيم الخبير الذى لا تخلو أفعاله عن الحكمة :

﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٦] .

ثم يشرح الحديث شهوة الغضب وبأنها من النار .. وطبيعة النار التأجُّج والارتفاع ، وعلاجها يكون بالإتيان بفعل عكسى ألا وهو الاتجاه إلى الأرض أى لو غضب الإنسان وهو قائم فعليه أن يجلس ، وإن غضب وهو جالس فعليه أن يضطجع .. فإن كان مضطجعا .. رقد .. وهكذا .. وشهوة الغضب نعمة إذا كانت فى حُدُودها المطلوبة : إذ بها تُجلَبُ المنافع ، وتُدفَعُ المضار .. أما إذا شابها الإفراط أو التفريط كانت وَبَالا على صاحبها .. والناس فى غضبهم أربعة أنواع أو أقسام : فمن كان بطىء الغضب سريع الرضا فهو خير الناس إذ تخلَّق بالحلم والسماحة ، ومن كان سريع الغضب بطىء الرضا فهو شر الناس إذ يَسْهُل إغضابه ويَصْعُب إرضاؤه فهو شرس غليظ أسود القلب .. ومن كان سريع الغضب سريع الرضا ، أو بطىء الغضب بطىء الرضا فهذه بتلك أى تعوِّض سرعة رضاه سرعة غضبه أو يمحو عَيْبَ بُطْءِ الرضا بُطْءُ الغضب فهذا لا له ولا عليه ولكنه على خطر .

وينتقل الحديث إلى نوع من المعاملات بين الناس هو أهم أنواعها ألا وهو التبايع .. ويُقسِّم الحديثُ الناسَ فى هذا الشأن أيضا إلى أربعة

---

(٦) فصلت : ٤٦ .

أقسام : فخير التُّجَّار من كان حسن القضاء حسن الطلب أى : يؤدِّى ما عليه دون مماطلة ، ويُطَالِب بحقِّه فى أَدَبٍ ، ودون إلحاح ، أو إرهاق ، أو عدم تقدير للظروف .. وشر التُّجَّار من كان سَيِّئَ القضاء سَيِّئَ الطلَب .. يُماطل فى أداء ما عليه ويُلِحُّ فى طلب ما له .. أما إذا كان حسن القضاء ، سيِّئ الطلَب أو كان سيئ القضاء ، حسن الطلَب ، فقد عوَّضَت الصفَةُ الطيبة الصفَةَ السيِّئةَ ، وعادلتها ؛ فهو وسط بين خير التُّجَّار وبين شَرِّ التُّجَّار ، ولكنه على خطر ؛ فقد تميل به أهواؤه فيصبح فى عداد شَرِّ التُّجَّار .. ثم ينبِّه الحديث إلى خطورة الغدر – وهو ضد الوفاء – إذ يفضح صاحبه يوم القيامة على رءوس الخلائق بأن تُرفع له راية على مقدار غَدْرَته .. والغَدْر من صفات المنافقين .. وأكبر الغَدْرِ غَدْرُ أمير عامة .. ذلك الذى استأمنه الناس على مصالحهم فخان الأَمانة : كقائد جيش يسلم جنوده لِلأَعْداء .. وكمُستَأْمَن على أسرار الدولة فيفشيها .. وكحاكم يسلب أموال الدولة ويهرِّبها إلى الخارج ويودعها باسمه ، أو بأسماء أسرته فى مصارف خارجية وحسابات سِرِّية .. وكممثِّلى الشعب فى المجالس النيابِيَّة الذين لا هَمَّ لهم إلاَّ قضاء مصالحهم الشخصيَّة ، والاستفادة من حصانتهم .. ورؤساء النقابات وما إلى ذلك من مناصب يكون الإنسان فيها مسئولا عن الناس ، أو مُسْتَأْمَنًا على مصالحهم ، أو معهودا إليه بشئونهم .. فيخون الأمانة ، وينقض العهد ، ويخل بالوعد .

ويختتم النبى ﷺ حديثه فى هذه الخُطبة الفَذَّة الجامعة بوصف العلاج الناجع ، والدواء لكل الأدواء ألا وهو قول الحق مهما كانت

الظروف أو الأحوال ، وألاَّ يمتنع من يعلم الحق عن التكلُّم به مهما كانت النتائج ؛ فالحق يعلو ولا يُعْلَى عليه .. والساكت عن الحق شيطان أخرس .. وعلى من يعلم الحق أن يقول ما يَجِبُ أن يُقَالَ لا ما يُحِبُّ أن يسمعه الناس ، وهذا هو الجهاد بالقول ومقاومة المنكر باللسان .

وأفضل الجهاد كَلِمَة حق عند سلطان جائر .. إذ إن جَوْرَ الحكام من أخطر الأمور على الأمة : فهو يؤدى إلى انتشار النفاق ، والْجُبْن ، والخنوع ، وضياع الحقوق ، وإحساس الرعيَّة بعدم الانتماء لبلدهم .. فتنهار الأمة من داخلها .

ويبيِّن الصادق المصدوق ﷺ أن ما بقى من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها مثل ما بقى من صلاة العَصْر – التى كانت خُطْبته ﷺ بعدها – إلى صلاة المغرب بالنسبة إلى ما مضى من صلاة الفجر إلى صلاة العصر .



السَّتْرُ فِى الدَّارَيْنِ

٣٦ إنَّ «اللهَ» تَعَالَى يُدْنِى المُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيهِ كَنَفَهُ وسِتْرَهُ مِنَ النَّاسِ ، ويُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟.. أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟.. فَيَقُولُ : نَعَمْ أَىْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ ، قَالَ : فَإِنِّى قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا وأَنَا أَغْفِرُها لَكَ الْيَوْمَ ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ .. وَأَمَّا الكَافِرُ والمُنَافِقُ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ : هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ .. أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ .[1]

مِنْ أَجَلِّ نِعَم «الله» تعالى على عبده المؤمن نِعْمَة السَّتْر .. فما من عبد – مهما كان صلاحه – إلاّ وله أخطاء وزلاّت،فكل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوّابون ، وستر «الله» لعبده المؤمن فى الدنيا علامة على ستره فى الآخرة .. والحديث يوضّح لنا ذلك وهو يُشير

(١) عن ابن عُمَر (رضى الله عنهما) البُخارِىُّ (بألفاظ متقاربة) ك : التوحيد ، ب : ٢٦ (٧٥١٤) جـ١٣/٤٧٥ (فتح البارى) ، ومسلم أيضا ك : التوبة (٤٤) جـ٥/٦١٣ (شرح النووى) .

فى مضمونه إلى وجوب الاستتار بستر «الله» .. فلا يصِحُّ لمن أذنبَ وسَتَرَه «الله» أن يُصْبِح فيحدِّث الناس بمعصيته كاشفا لستر «الله» عليه .. كما أن الحديث رغم ما فيه من بُشْرى للمُؤْمِن إلاّ أنه دعوة للحياء من «الله» عز وجل ؛ إذ لو تخيَّل الإنسان ذنوبه وأعماله القبيحة التى لو اطلَع عليها الناس لَلَفَظُوه من مجتمعهم ، ولَتَجَنَّبوه ، واحتقرُوه .. فكيف يواجه بها الخالق سبحانه وتعالى فيذكِّره بها ، ويقرِّره بها ، وقد نسيها هو ولم يغفل عنها العليم الخبير .. فالبِرُّ لا يَبْلَى ، والذنب لا يُنْسَى ، والديَّان لا يموت .. فعَلَى المؤمن أن يتنبَّه لمضمون الحديث فَيُقْلِع عن ذنوبه التى يستحى أن يواجه بها الناس فضلا عن أن يواجه بها «الله» .. وعليه أن يداوم على الاستغفار والندم حتى تُمْحَى هذه السيئات من صحائفه قبل أن يُفاجئه الموت .. كما وأن يوم القيامة فيه من الفَزَع والهَلَع ما لا يمكن وصفه ؛ فإذا أضيف لذلك تعديد ذنوبه ومعاصيه بين يدى الجبار ، ومواجهته بها حتى يتيقَّن من الهلاك .. كان الموقف أخطر وأفظع من أن يُحْتَمل .. نعم يأتيه الاطمئنان بعد ذلك بأن يُعْطَى كتابَ حسناته بيمينه إلاّ أن هول الموقف يستدعى التنبُّهَ واليقظة وعدم الغَفْلَة .. فكلَّما حدثَتْه نَفْسُه بمعصية تذكَّر عتاب «الله» له ، ووقوفه بين يديه ، وعَرْض ذنوبه عليه ؛ فيمتنع عن الوقوع فى الصغائر قبل الكبائر .

أما الذين استتروا فى الدنيا عن الناس بنفاقهم ، وبأثواب الزور ، فهؤلاء يُفْضَحون يوم القيامة على رءوس الخلائق والعياذ بـ«الله» .. وتشهد عليهم الكَتَبَة ، والحَفَظَة .. بل وتشهد عليهم جوارحهم بما

ارتكبوه فتكون الفضيحة الكبرى التى تعقبها اللعنة وهى الطرد من رحمة «الله» عز وجل .

وأما الكافر فيَوَدُّ يومئذ لو يفتدى نَفْسَه بأمه وأبيه ، وصاحبته وبَنِيه ، ومَنْ فى الأرض جميعًا ثم يُنْجِيه بل لو كان له ما فى الأرض جمِيعًا ومِثْلَه معه لافْتَدَى به من عذاب يوم القيامة .. ويبين النبى ﷺ موقف الكافر فيقول :

٣٧ إنَّ «الله» تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ كُنْتَ تَفْتَدِى بِهِ ، قَالَ : نَعَمْ .. قَالَ : فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ ، أَلاَّ تُشْرِكَ بِى شَيْئًا – فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ .(٢)

فإذا كان هذا موقف أَهْوَن أهل النار عذابا فكيف يكون موقف أشدّهم عذابا ؟! ويبيّن الحديث أن «الله» يذكّر هذا الإنسان بموقف قد نَسِيَه : ألا وهو موقف الإِقْرار فى عالم الذَّرِّ الذى يُشير إليه الحق تبارك وتعالى فى القرآن : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ**

---

(٢) عن أنس (رضى الله عنه) رَوَاه البُخارِى ك : الرِّقَاق ، ب : ٥١ – فى صفة الجنة والنار (٦٥٥٧) جـ٤١٦/١١ (فتح البارى) ، وكذلك مُسْلِم .

آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3] .

وهكذا يتَّضِح أن كَلِمَة التوحيد هى حَبْل النجاة .. من أجلها خُلِقَت السموات والأرض ، ومن أجلها أُرْسِلَت الرُّسُل ، وأُنْزِلت الكُتُب .. وقد اقتضت رحمة المولى عز وجل أن لا يُخَلَّد فى النار موحِّد .. فهو القائل :

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[4] .

وكل من مات لا يُشرك بـ«الله» شيئا فهو بين أمرين : إما أن تُغْفَر له ذنوبُه وتزيد حسناته عن سيئاته ، وإما أن يدخل النار استيفاء للحقوق ثم تتداركه الرحمة فيخرج منها ويدخل الجنة ، ولكنه لا يُخَلَّد فى النار أبدا .. ذلك بشرط أن تكون كلمة التوحيد إقرار باللسان ، واعتقاد بالجَنَانِ ، وأن يموت عليها إذ قد يُفْتَن عند الموت ، ولا ينطق بها لأن التثبيت من «الله» القائل : **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَآءُ﴾**[5] .. وعليه فلا يجب أن يغترَّ المسلم بإسلامه دون أن يعمل به؛فقد يُسْتَدْرَج من حيث لا يَعْلَم .. وقد خرج أناس من الدنيا ولا حَسَنَةَ لهم يقولون : نُحْسِن الظن بـ«الله» .. وقد كذبوا .. فلو أحْسَنوا الظن لأحْسَنوا العمل .. ويُبشِّر نبيُّنا ﷺ الموحِّدين الذين ماتوا على كلمة التوحيد فكانت آخر ما نطقوا به فيقول :

---

(٣) الأعْرَاف : ١٧٢ ، ١٧٣ . (٤) النِّسَاء : ٤٨ . (٥) إبْرَاهِيم : ٢٧ .

٣٨ إنَّ «الله» تَعَالَى سيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِى عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ سِجِلاًّ ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ .. ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِى الحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لا يَارَبِّ .. فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقولُ : لاَ يَارَبِّ .. فَيَقُولُ «الله» تَعَالَى : بَلَى إنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً .. فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ؛ فَتخْرجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إلاَّ «الله» وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ ؟ فَقَالَ : فَإِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ ، فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِى كَفَّةٍ والبِطَاقَةُ فِى كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ «الله» شَىءٌ .[٦]



---

(٦) عن عبد الله بن عَمْرٍ (رضى الله عنهما) رواه الترمذى ك : الإيمان ب : ١٧ حديث (٢٦٣٩) ورواه أيضا ابن ماجة ، وابن حِبَّان ، والحاكم ، والبيهقى .

العِتَـــابُ الْغَـــرِيبُ

٣٩ إنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا بْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَارَبِّ ، كَيفَ أَعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟!.. قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِى فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتهُ لَوَجَدْتَنِى عِنْدَهُ ؟!.. يَابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِى ، فَقَالَ : يَارَبِّ ، وَكَيْـفَ أُطْعِـمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟!.. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِى فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِى ؟ يَابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِى ، قَالَ : يارَبِّ ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! .. قالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِى فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِى .(١)

الحديث يُبيِّن أعمالا قد لا يُلْقى لها الإنسان بالاً ، ولكنها مَحلُّ

---

(١) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) رواه الإمام مُسْلِم فى صَحِيحه ك٤٥ : البرّ الصّلة والآداب ، ب١٣ : فضل عيادة المريض (٢٥٦٩) .

عِتَاب وسُؤال .. ويُرْفَع مَنْ أتى بها درجات عند رَبِّ العالَمِين .. فالدِّين ليس مُجرَّد عِبادات فقط .. **إذ إن العِبَادات وسائل ، وليست غايات** ، فهى أمور الهدف منها : إصلاح الخُلُق ، وتوجيه السلوك ، ونشر المعروف بين الناس .. فإذا قام الإنسان بأداء العبادات من : صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، وبقى على أخلاق الجاهلية من : توحُّش وأنانِيّة ؛ كانت عبادته شكلا بلا مضمون ، كشجرة بلا ثمار أو ظِلال .. فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ؛ فمن لم تَنْهَهُ صلاته فلا صلاة له .. وقد أثنى ربُّنا تبارك وتعالى على حبيبه المصطفى ﷺ بقوله : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2] .. ولم يذكر صلاته ، أو صيامه ، فقد بُعِثَ ﷺ لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق .. وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقًا .. الذى يسود المعروف فى تعامله مع الناس فينتفع منهم وينتفعون منه .. والتوادُد والتراحُم بين المسلمين من أهداف الإسلام إن لم يكن هو الهدف الأعظم والأكبر ؛ فمَن كان له فضل مال عاد به على مَن لا مال له ، ومَنْ كان له فضل زاد عاد به على مَن لا زاد له .. وهكذا .. وإن كان الحديث يبيِّن أن القاعدين عن بذل المعروف لإخوانهم مُعَاتَبون مُؤَاخَذُون يوم القيامة حيث لا ينفع الندم .. إلاّ أنه فى نَفْس الوقت يُبَشِّرُ المريض الصابر وكأن «الله» يقول له : إذا لم يَزُرْكَ أحد مِن الناس فلا تحزن ؛ فأنا معك برِعَايتى ، وعِنَايَتِى أُكَفِّرُ عنك خطاياك بِبَعْض الألم ، وأُبْدِلُك لحما خيرًا من لحمِك ، ودما خيرا مِنْ دَمِكَ .. والحديث أيضا بُشْرَى للفقير الذى يستطعم الناس فلا يطعمونه .. وكأن «الله» يقول له : ما أحوجتُك

---

(٢) القَلَم : ٤ .

إليهم لِهَوَانٍ لك عِنْدى ، ولكنى جعلتُك فِتْنَةً لهم وابتلاء ، فمَنْ أطعمَكَ وَجَدَ ذلك عِندِى ، ومَنْ لم يُطْعِمْك أوقفته للسؤال بين يدى حيث لا يَسْأَل حَمِيمٌ حَمِيمًا .

وهكذا نجد أن الحديث ضرب أمثلة بالمرض والجوع والعَطَش لكل ما يمكن أن يُؤَدَّى من معروف .. فهو دعوة عامة لكل من يستطيع أن يبذُل عونا مادِّيًا أو مَعْنَوِيًّا لأخيه المسلم أن يفعل ولا يَغْفل .. لذلك يبيِّن النبى ﷺ أمثلة عديدة للمعروف داعيا إليها بقوله :

[٤٠] تَبَسُّمُكَ فِى وَجْهِ أَخِيكَ : لَكَ صَدَقَةٌ .. وأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ ونَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ : صَدَقَةٌ .. وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِى أَرْضِ الضلاَلِ : لَكَ صَدَقَةٌ .. وَإِمَاطَتُكَ الأَذَى وَالْعَظْمَ والشَّوْكَ عَنِ الطَّرِيقِ : لَكَ صَدَقَةٌ .. وإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِى دَلْوِ أَخِيكَ : لَكَ صَدَقَةٌ .[٣]

وهكذا نجد أن «الله» تبارك وتعالى يُثِيبُ على أعمال كثيرة قد يستصغرها الإنسان ، وصدق عُمَرُ بن الخطاب (رضى الله عنه) حيث يقول : **البِرُّ أمرٌ هَيِّنٌ .. وَجْهٌ طَلِيقٌ ، وكَلاَمٌ لَيِّنٌ** .. والمتأمِّل فى كلمات الحديث يجد أن الأعمال المذكورة كلها ما هى إلاّ صنائع

---

(٣) عن أبى ذَرٍّ الغِفارِىّ (رضى الله عنه) رواه الترمِذِى بألفاظ متقاربة ك : البِرّ والصِّلَة ب : ٣٦ جـ٦/٨٩ (تحفة الأحوذى) ح(٢٠٢٢) .

معروف تُورِث المَوَدَّة ، والأُلْفَةَ بينَ الناس ، فمجرد التبسُّم فى وجه المسلم الذى عبَّر عنه الحديث بكلمة (أخيك) تشعر بما يجب على المسلم نحو المسلم .. وكلها أمور لا مَشَقَّةَ فى الإتيان بها : فالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر يعبر عن الاهتمام بمصالح الآخرين ، والحرص على ما ينفعهم بلطفٍ ورِقَّة ، وليس بالاستعلاء والتعدِّى والإيذاءِ ، وكذلك إرشاد من ضلَّ طريقه ، وإزالة ما يؤذى الناس فى طريقهم – أيًّا كانت صورة هذا الأذى – صدقة .. وإفراغُكَ من دَلْوِك فى دَلْوِ أخيك تشمل الماء الزائد عن حاجتك ، وكل ما يحتاجه الآخرون وعندك منه ما يزيد عن حاجتك .. فالإسلام : تكافُلٌ ، وتَرَاحُم ، وتوادُدٌ ، وبذل للمعروف وما ينفع الآخرين ، وليس عبادات شكلية لا روح فيها ولا حياة .. وإذا كانت هذه الأعمال الدالة على الرحمة والحنان تُرضى «الله» تبارك وتعالى فلا شك أن ضدها يُغضِب «الله» .. كإلقاء القاذورات فى طريق الناس ، وإمساك ما ينفعهم مما أعطاك «الله» .. والسكوت عن نصحهم ، وعدم الاهتمام بشأنهم ، وما يصلحهم ، وقصر الاهتمام على الذات ، وكل ما من شأنه أن يفرق الجماعة ، ويشتِّت الشمل ، ويورث كلمة **«نَفْسِى ثُمَّ نَفْسِى»** .. فإنه إذا حدث ذلك رُفِعَت البَرَكة ، وزالت الأمانة ، وحل التباغض والتدابر والتباعد ، وبدأت الفِتَنُ التى لا قِبَل للأُمة بها ، والتى حَذَّرَ النبى ﷺ منها بقوله :

٤١ بَادِرُوا بالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى

كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ .[4]

ولا شك أن من قدَّم المعروف يُنْجِيه «الله» من هذه الفِتَنِ ، ويجعل له مخرجا ، ويرزقه بصيرة يُمَيِّز بها بين الحق والباطل ، وبين الصواب والخطأ فى هذه الفِتَنِ التى تُشْبِهُ الليل الدامس الظلام ، الذى لا يعرف الإنسان فيه طريقه ، ولا يدرى أين يَتَّجِه ؟! وهكذا الفِتَن المذكورة يقع فيها الإنسان ، وتُحيط به ، فلا يدرى أىّ السُّبُل يسلك ؟ فرغم أنه يُصبِح مؤمنا إلاَّ أنه يُمْسِي كافرًا !! أو يُمْسِي مُؤْمِنًا فيُصبِح كافِرا ؛ يبيع دينه بعَرَضٍ مِنَ الدنيا قليل .. وذاك يعنى أنه قد فقد التمييز تماما ، ولم يجد من يهديه أو يُرشده إلى طريق السلامة .. والمخرج الوحيد هو الأعمال الصالحة وبذل المعروف .. فإن صنائع المعروف تقى مصارع السوء .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول :

﴿هَلْ جَزَآءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[5] .. ويقول :

﴿... وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[6] .



(٤) عن أبى هُرَيْرَة (رضى الله عنه) رواه مُسْلِم ك : الإيمان جـ١/ ٣٢٠ (شرح النووى) وكذلك الترمذى ، وأحمد . (٥) الرَّحْمن : ٦٠ . (٦) الطَّلاق : ٢ .

كَلِمَـــــة وكَلِمَـــــة

[٤٢] إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ، مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ ، فَيَكْتُبُ اللهُ له بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ، مِنْ سَخَطِ اللهِ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ ؛ فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .(١)

يُبيِّن الحديث خطورة الكلام .. والكلمة قد تكون من حرفين فقط مثل كلمة : (أُفّ) التى نهى «الله» تبارك وتعالى عن قولها للأبوين .. أو كلمة (لا) وهى من حرف واحد .. ومع ذلك فقد ينطق الإنسان بكلمة واحدة تُدخِله فى رضوان «الله» تبارك وتعالى إلى الأبد .. وقد يتكلم بكلمة واحدة فيقع فى دائرة السخط إلى الأبد .. وهذا يدل على خطورة اللسان ، ذلك العضو الصغير حجمه ، العظيم جرمه الذى لا يجد الإنسان مَشَقَّة فى تحريكه ، ولا مُؤْنة فى إطلاقه .. والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجد الكثير من كلمات «**قُل**» .. «**قَالَ**» .. «**قَالُوا**» .. «**يَقُولُونَ**» .. «**قِيل**» .. ويجد

---

(١) عن بلال بن الحارث (رضى الله عنه) الترمذِىُّ بلفظ مقارب له : الزُّهد ، باب : ٩ ما جاء فى قِلَّة الكلام (٢٤٢١) ٦/٦٠٩،٦١٠ (تحفة الأحوذى) .

أن عصمة الدماء والأموال بكلمة ، ألا وهى : كلمة التوحيد .. ويجد أن توبة «الله» على آدم عليه السلام كانت بسبب كلمات تلقَّاها من «الله» فنطق بها : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ...﴾[٢] .. ويجد أن اللعنة قد حاقت بإبليس بسبب كلمات نطق بها : ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾[٣] .. ويجد رضوان «الله» قد حل على المؤمنين بقولهم: ﴿... وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٤] .. ويجد أن اللعنة حاقت باليهود الذين حكى القرآن قولهم : ﴿... قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا..﴾[٥] .. وكذلك حين أُمِرُوا بقول «الله» : ﴿... وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ...﴾[٦].. فبدَّلوا الكلمة بكلمة أخرى كما حكى عنهم : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذى قِيلَ لَهُمْ ...﴾[٧] .. ويجد كذلك قوما حكى القرآن قولهم : ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بالله ومَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾[٨] .. فكان نتيجة هذه المقالة أن قال «الله» تبارك وتعالى فى شأنهم : ﴿فَأَثَابَهُمُ الله بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ...﴾[٩] ..

وكما أن الكلمة فى شأن العقيدة ، وطاعة «الله» ورسوله لها هذا الشأن الخطير ؛ فكذلك الكلمات التى لا يلقى الإنسان لها بالا فى مسائل الدنيا : كالغِيبة ، والنميمة ، والوِشاية ، والسخرية ، والاستهزاء .. والنكات الخارجة عن حدود الأدب واللياقة .. وكل

(٢) البقرة : ٣٧ . (٣) الحِجْر : ٣٣ .(٤) البقرة : ٢٨٥ . (٥) البقرة : ٩٣ . (٦) البقرة : ٥٨ .
(٧) البقرة : ٥٩ . (٨) المائدة : ٨٤ .(٩) المائدة ٨٥ .

مستمع لهذا الكلام واقع فى الخطيئة شريك فى الإثم .. و«الله» تبارك وتعالى يقول : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ...﴾[١٠] .

وبالمقابل كل كلمة تُقال تكون سببا فى الإصلاح بين الناس ، والتوفيق بينهم .. أو سببا فى رفع ظلم عن إنسان ضعيف .. أو سببا فى هداية إنسان إلى طريق الرشاد .. أو نصيحة صادقة ، ومشورة نافعة .. قد تَرفع هذه الكلمة صاحبَها درجات ودرجات .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول : ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١١] .

وهكذا نتبيَّن خطورة اللسان وما ينطق به من كلمات قد تكون سببا فى السعادة الأبدية ، أو الشقاوة والعياذ بـ«الله».. ويؤكد الصادق المصدوق ﷺ على أهمية اختيار الكلمات بحديث آخر يقول فيه:

[٤٣] إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً ، يرْفَعهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ .. وإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لا يُلْقى لَهَا بَالاً ، يَهْوِى بِهَا فِى جَهَنَّمَ .[١٢]

---

(١٠) النِّسَاء : ١٤٠ . (١١) النِّساء : ١١٤ . (١٢) عن أبى هُرَيْرَة (رضى الله عنه) البُخارى ك : الرِّقاق ، باب : ٢٣ – حفظ اللسان (٦٤٧٨) ٣٠٨/١١ (فتح البارى) .

الأعمال بالخواتيم

٤٤ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ : عَمَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَشَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ .. فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ؛ فَيَدْخُلُ النَّارَ .. وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَينَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ .(1)

هذا الحديث الجامع من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ .. فقد وصف مراحل تطور الجنين بما أثبته علم التشريح حديثا .. والنطفة هى ماء الرجل (المنى) الذى يقذفه فى رحم المرأة ، والعلقة من

(1) عن ابن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) البُخارِىُّ بلفظ متقارب ك: أحاديث الأنبياء، ب: ١- خلق آدم وذُرِّيَّته (٣٣٣٢) ٦/٣٦٣ (فتح البارى)، وأيضا رواه مُسْلِمٌ ك: القدر ٥/٤٩٦: ٤٩٨ (شرح النووى).

العلق ، وهو نوع من أنواع الدود الذى يعيش فى الماء ، يتعلق ويلتصق بغيره من الأحياء المائية الكبيرة ، ويعيش على ما يمتصه من دمائها .. والعلقة تتعلق بجدار الرحم ، وتتغذى على ما تمتصه من دم حتى تتحول إلى مُضْغة ، وهى قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان .. وذلك هو أبلغ وصف وأصدقه لشكل الجنين فى هذه المرحلة .. فإن قَدَّر «الله» لهذه المضغة أن يتم خلقها أَمَرَ مَلَكَ الأرحام ، فكتب أربعة أمور هى كل ما يتعلق بالإنسان فى دنياه وأخراه : العمل ، والرزق ، والأجل ، وشقى أو سعيد .. ثم ينفخ فيها الروح .. وعليه فإن الأجل مقدر بأنفاس معدودة فى أماكن محدودة .. لا يتقدم ولا يتأخر ، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[٢] .. وكذلك الرزق فإنه مقسوم مُقَدَّر ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتوقف على ذكاء الإنسان أو مجهوده .. فكم من عامل محُروم ، وكم من خامل مرزُوق .. فإن رضى الإنسان بما قسمه «الله» له من رزق أراح بدنه وعقله ، وكان عند «الله» محمودا ، وإن لم يرض بما قسمه «الله» له من الرزق أتعب بدنه وعقله ، وكان عند «الله» مذموما ، وركض فى الدنيا ركض الوحش فى الفلاة .. ولا يصيب منها إلاّ ما كتبه «الله» له .

والإنسان مُخيَّر فى الحصول على ما قُسِمَ له من رزق عن طريق مشروع أو عن طريق غير مشروع .. فمن عَفَّ عن الحرام أتاه رزقه عن طريق حلال ، ومن ابتغى الرزق من طريق حرام لن ينال إلاّ ما كتب له أصلا دون زيادة ؛ فلو فَرَّ الإنسان من الرزق فراره

(٢) الأعراف : ٣٤ .

من الأسد لأدركه رزقه حتى يدخل فى فِيهِ .. ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ، ومَنْ يعتقدون أنهم يحصلون على الأموال بذكائهم الخارق ، أو بمجهودهم واهمون .. والذين يبتغون الرزق بالسلب ، والنهب ، والغش ، والخيانة ؛ لا يحصلون إلاّ على ما كُتب وقُسم لهم .. ولو امتنعوا عن ذلك لأتاهم نفس القدر من المال دون نقص أو زيادة ولكن من طريق مُبَاح .

وأما العمل الذى يكتبه المَلَك على الإنسان وهو مُضْغَة فى رَحِم أمه .. فهى كتابة عِلْم ، وليس كتابة جَبْر ؛ إذ لو كان عمل الإنسان مفروضا عليه أو مُجْبَرًا هو على الإتيان به لبطل الاختيار ، ولانتفى الحساب .. وإنما يكتب المَلَكُ ما يعلمه «الله» عن عمل هذا الإنسان فى المستقبل ، **فعِلْم «الله» سبحانه وتعالى لا يتجدد بالحوادث ، ولا يزيد ، ولا ينقص .. بل علمه قديم أزلى : يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى الأبد** . ولو حاسب «الله» الخلق بعلْمِهِ فيهم لدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار دون حاجة لخلق الدنيا وما فيها ؛ ولكن «الله» يحاسب الناس على أعمالهم ، وخَلَق الدنيا لامتحانهم واختبارهم ؛ لتكون حجَّتُه عليهم بالغة .. فتأتى أعمالهم وفق علم «الله» تعالى الأزلى فيهم .. فهم مُخَيَّرون مختارون وليسوا مجبورين .. وتتحدد السعادة أو الشقاوة وفق أعمالهم التى سوف يعملونها فى دنياهم ؛ ولذلك كتب المَلَك ضمن ما كتب : شقى أو سعيد .. وما كتبه الملك لا يعلمه إلا «الله» .. فإذا خرج الإنسان إلى الحياة وأصبح مُكَلَّفا ؛ بدأ الحَفَظَة يحصون عليه أقواله ، وأعماله ، وحركاته ، وسكناته : **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ**

عَتِيدٌ﴾[٣] ... وهؤلاء الحَفَظَة يكتبون ويسطرون الواقع دون علم بما كتبه مَلَكُ الأرحام أو تأثُّرٍ به .. فيتفق ما يسطره الحَفَظَة مع ما سطره مَلَكُ الأرحام ؛ لأن علم «الله» تبارك وتعالى لا يتطرق إليه : خلل ، ولا خطأ ، ولا زيادة ، ولا نقصان . ولما كانت العبرة بخواتيم الأعمال ؛ فقد يعمل الإنسان بعمل أهل الجنة طوال حياته ثم يعمل بعمل أهل النار قبل مماته ، والعكس صحيح .. وهذا معنى قوله «**يَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ**» ، أى أن عمله الآخر يتفق مع ما قد سطره مَلَكُ الأرحام والذى لا يعلمه إلاّ «الله» .. وهذا المعنى يتضح من قول النبى ﷺ فى حديث آخر :

٤٥ إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ الْجَنَّةِ — فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ — وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ النَّارِ — فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ — وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .[٤]

وجملة «**فيما يبدو للناس**» توضح أن ظاهر الأعمال شىء والدافع لها قد يكون شيئًا آخر .. لذا كان الحساب على النية ولكل امرئ ما نوى .. والنية محلها القلب ، ولا يَطَّلِع عليها إلاّ «الله» .. فهى سِرٌّ بين العبد وربه ، لا يستطيع مَلَكٌ أن يَطَّلِع عليها فيكتبها ، ولا شيطان فيفسدها .. والنية هى اختيار العبد المطلق الذى لا سلطان لأحد عليه فيه . والحَفَظَة الكَتَبَة لا يسطرون إلاّ ظاهر الأعمال دون علم أو

---

(٣) قٓ : ١٨ .(٤) عن سَهْل بن سَعْدٍ (رضى الله عنه) رواه البُخارِىُّ فى جزء من حديث بلفظ متقارب ك: الرقاق،باب : ٣٣ — الأعمال بالخواتيم .. (٦٤٩٣) ،ومُسْلِم بدون:(أهل) ، ك : القدر .

اطِّلاع على نية العبد فى هذه الأعمال . والإنسان مهما خدع الناس بأعمال صالحة فى ظاهرها فلن يخدع العليم الخبير الذى لا تفوته فلتة خاطر ولا لفتة ناظر : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾[٥] .. وقد يُسْتَدْرَج العبد المخادع من حيث لا يَعْلَم أو يتوقَّع ؛ فيقع فى المعصية قبل أن يموت ، ولا يتمكَّن من التوبة .. كما قد يُلْهَم العبد الطيب العمل الصالح قبل أن يأتيه الموت .. فيعمل بعمل أهل الجنة بصدق نِيَّة ، ويقلع عن الأعمال السيئة التى ربما أتى بها نتيجة جهله أو جهالته ، وذلك مما يؤكده قول النبى ﷺ :

٤٦ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .[٦]

ونخلص من ذلك إلى أنه يجب ألا يطمئن الإنسان إلى عمله .. فإنه لا يدرى ما يُختم به عمله .. ولا يعترض على غيره .. فربما يُختم له بما لا يتوقعه إنسان .. فكم من عاصٍ تاب فتاب «الله» عليه .. وكم من طائع فى ظاهر الأمر ونيَّته فاسدة ، أو انطوى قلبه على الغش ، والخديعة .. أو بطل وحبط عمله بسبب ما احتواه قلبه من : حِقْد ، أو غِلٍّ ، أو حَسَد ، أو غُرور ، أو بما وقع فيه لسانه من غِيبة ، ونميمة ، وإفساد بين الناس .. و«الله» يعلم وأنتم لا تعلمون .

---

(٥) غافر : ١٩ . (٦) عن أبى هُرَيرة (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ : ك : القدر ٥/٥ ٥٠ (شرح النووى) .

الْحُـــبُّ فِـــى «الله»

٤٧ إنَّ لله تَعَالَى جُلَسَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ – وَكِلْتَا يَدَىِ الله يَمِينٌ – عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ، وَلا شُهَدَاءَ ، وَلاَ صِدِّيقِينَ . قِيلَ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى .. الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى .(١)

الحديث يتكلَّم عن مقام لا يُدانيه مقام .. وهو أعلى مقامٍ يوم القيامة .. وقد أكَّد الرسول ﷺ على حصول هذا المقام للمتحابين بجلال «الله» تبارك وتعالى بذكرهم فى الحديث مرتين .. فأىّ جاه هذا ، وأىُّ شرف هذا : أن يجلس الإنسان عن يمين مَلِكِ الملُوك فى يوم خوف وفَزَع .. يوم فضيحة وخِزْى وعار .. ليس فى يوم احتفال أو يوم فرح ، وإنما فى يومٍ : الناجى فيه ناج إلى الأبد ، والهالك فيه هالك إلى الأبد .. وأول جملة فى الحديث يهتز لها القلب ، ويحتار فيها العقل .. فذلك يوم تُوضع فيه الأنساب .. ولا يسأل حميمٌ حميما .. ولكل امرئ شأن يغنيه .. وهؤلاء الجلساء عن يمين

---

(١) عن ابن عبَّاسٍ (رضى الله عنهما) رواه الطبرانىُّ بدون «قيل لمن هم» ، ذكره السيوطى فى : جامع الأحاديث (٧٧٣٤) ٣/٣٣ وكذا رواه أحمد .

العرش .. واليمين من اليُمْنِ والبركة .. و«الله» تبارك وتعالى مُنَزَّه عن الاختصاص بالجهات ؛ ولذلك قيل : «**وكلتا يَدَى الله يمين**» .. فكأن الجلساء فى مكانة واحدة ، ودرجة واحدة من عُلُوِّ المنزلة .. وهم «**عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ**» أى مكان عال مرتفع ، يراهم أهل الموقف جميعا .. وجوههم مضيئة بنور لا يُدَانيه نور ، ولا يمكن أن يُوصَف .. وأول ما يطرأ على الذهن أن هذه المكانة الرفيعة لابد أن تكون للأنبياء والصِّدِّيقين والشهداء .. ولكن النبى ﷺ ينفى هذا ؛ مما دفع الصحابة للسُّؤال عن هؤلاء الذين نالوا هذه الحظوة ، والمكانة التى تفوق الخيال .. فإذا به ﷺ يخبرهم بأنهم :«**المتحابُّون بِجَلالِ الله...**» ويكررها مرتين للتأكيد .. وقد يتساءل الإنسان عن حساب هؤلاء : كيف يكون ؟ وعن هذه المكانة : لأى مدى تطول ؟ فيجيب النبى ﷺ عن هذه التساؤلات بقوله فى حديث آخر :

[٤٨] إِنَّ لله عِبَادًا يُجْلِسُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، يَغْشَى وُجُوهَهُمُ النُّورُ ، حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلائِقِ .(٢)

ومعنى ذلك أن الجالسين على منابر النور آمنون من الحساب فى يوم طوله خمسون ألف سنة .. الناس كُلُّهم فى وَجَل ، وفَزَع .. يغمُرُهم العَرَق .. فمنهم غارق إلى كَعْبَيْهِ ، وغارق إلى رُكْبتيه ، وغارق إلى كتفيه .. وهكذا .. لا يدرى هل يُعْطَى كتابه بيمينه ،

---

(٢) عن أبى أمامة (رضى الله عنه) رواه الطبرانى بإسناد جيِّد ، ذكره الحافظ الدمياطى فى : المتجر الرابح (١٧٧٧) .

أم بشماله ، أم من وراء ظهره ؟! وهل ترجح كفة الحسنات ، أم كفة السيئات ؟! كل ذلك وهؤلاء فى مقام الأمن مستظلون بظل العرش ، حيث لا ظل فى ذلك اليوم إلاّظل العرش ، وحيث تقترب الشمس من الرءوس ، ويتمنى الخلائق لو ينصرفون من هذا الموقف ولو إلى النار .. ويؤكد ذلك قول النبى ﷺ :

٤٩ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِى فِى ظِلِّ عَرْشِى يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّى .[٣]

لذلك فإن هؤلاء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة ، أى يتمنون لو كان لهم هذا المقام .. فأى مكانة هذه ؟ وأى مقام هذا الذى يتمناه الأنبياء والشهداء ؟. ذلك المقام قد ناله المتحابون بنور «الله» وجلاله على غير أرحام بينهم ولا أنساب .. فقد كان حبهم خالصا لوجه «الله» الكريم دون غَرَض ، أو مصلحة ، أو حاجة ، أو قرابة ، أو نَسَب ، أو انتظار نفع ، أو خوف ضرٍّ .. أىُّ حُبٌّ هذا الذى يُوصَف بأنه حُبٌّ بجلال «الله» ؟! ويُوصَف بأنه حُبٌّ بنور «الله» ؟! ذلك الحُبُّ الذى يجعل صاحبه لا يخاف إذا خاف الناس ، ولا يحزن إذا حزن الناس .. والذى يؤكده النبى ﷺ فى حديث آخر يقول فيه :

٥٠ إنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ ، يغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ

---

(٣) عن العِرْبَاض (رضى الله عنه) رواه أحمد فى مُسْنَدِه ، وكذلك مُسْلم (٢٥٦٦) بمعناه .

الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ . قَالُوا : فَخَبِّرْنَا مَنْ هُمْ ؟! قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللهِ ، مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلا أَنْسَابٍ ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ،عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، ثُمَّ قَرَأَ :
﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .[٤]

ويتضح من هذا الحديث أن هؤلاء هم أولياء «الله» الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. الذين تولاَّهم «الله» برعايته ، وعنايته ، وهدايته ، وتوفيقه .. فقد كان «الله» هو مقصدهم الأسمى ، وغايتهم العظمى فى كل ما يأتون ويذرون .. فأحبوا فى «الله» ، وبـ«الله» ، و«لله» فأحبَّهم «الله» تبارك وتعالى ؛ لنقاء سرائرهم ، وخلوص نياتهم ، وطهارة قلوبهم من : الغش ، والحقد ، والحسد ، والغل ، والكراهية .. يتناصحون فى «الله» ، ويجتمعون فى «الله» ، ويتباذلون فى «الله» ، ويتزاورون فى «الله» .. تلك المعانى الراقية التى يؤكدها قول النبىّ ﷺ :

٥١ قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَحَابِّينَ فِىَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَوَاصِلِينَ

---

(٤) عن أبى هُرَيْرة (رضى الله عنه) رواه النسائى وابن حِبَّان ، ذكره الدمياطى (١٧٨٢) ، وبلفظ «قومًا» (١٧٨٤) ، وبمعناه عن عمرَ (رضى الله عنه) عند أبى داود .

فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ .. هُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ .[٥]

وكلمة حَقَّت : أى ثبتت ودامت إلى الأبد .. وقد دخل فى هذا الفضل العظيم كل من أحب فى «الله» ؛ فنصح لوجه «الله» ، وبذل من : ماله ، أو علمه ، أو جاهه «لله» دون انتظار أجر أو مقابل من مخلوق .. وكذلك كانت علاقاته بالناس : لا هدف لها إلاّ رضاء «الله» عز وجل ، دون النظر إلى أى غرض دنيوى ، أو نفع عاجل .. فكأنه أصبح فى حركاته وسكناته منتظما مع حركة الكون : فالأرض يُطرح عليها كل قبيح ، ولا تنبت إلاّ كل مليح ..والشمس تبعث الدفء ، وتبث ضياءها دون مقابل .. وكذلك القمر يحدد لنا أوائل الشهور .. والنجوم تهدى الناس فى ظلمات البرِّ والبحر .. والسحاب يمطر بالجود والخير فتحيا البلاد .

وهكذا نِعَم الوجود كلها تُعطِى وتَمْنَح طاعة «لله» عز وجل دون انتظار مكافأة أو مقابل .. وهكذا كان من جاء ذكرهم بالحديث فاستحقوا محبة «الله» جل وعلا .. ونالوا تلك المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التى يغبطهم عليها النبيون والصديقون والشهداء .

---

(٥) عن عبادة بن الصَّامت (رضى الله عنه) فى جامع الأحاديث بلفظ : «المتحابون فىَّ» ، بدلا من : «هم» ، رواه أحمد ، والطبرانى ، والحاكم ، وذكره السيوطى برقم (١٥٠٣٥) ٦٨٤/٤ . وبمعناه صحيحا عند مالك (٩٥٣/٢) وابن حبان (٢٥١٠) ، وكذا ذكره الدمياطى برواية عند أحمد بسند جَيِّد (١٧٧٤) .

لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ

٥٢ إنَّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضَلاَءَ ، يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا ؛ عَرَجُوا وَصَعَدوا إِلَى السَّمَاءِ ؛ فَيَسْأَلُهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ — وَهُوَ أَعْلَمُ — مِنْ أَيْنَ جِئْتُم ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، ويَسْأَلُونَكَ . قَالَ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ .. قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لا يَارَبِّ .. قَالَ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟!. قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ .. قَالَ : وَمِمَّ يسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لاَ يَارَبِّ .. قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ . فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ

مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا . فَيَقُولُونَ : رَبِّ ، فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ .. فَيَقُولُ : وَلَهُ قَدْ غَفَرْتُ ؛ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ .[1]

الحديث يتكلّم عن مجالس العلم والذكر التى أفاء «الله» تبارك وتعالى فيها على عباده الذاكرين الذين جلسوها بـ«الله» وفى «الله» و«لله» .. هذه المجالس هى من فضل «الله» عز وجل عليهم .. إذ هو الذى خلق المكان الذى يجلسون فيه ، وهو الذى ألَّف بين قلوبهم وجمعهم لغير غرض إلاّ لِذِكْره .. فإذا جلس قوم يتدارسون القرآن ويحفظونه فهو ذكر .. وإن جلسوا يتدارسون حديث رسول الله ﷺ فهو مجلس ذكر ، وإن اجتمعوا للصلاة فهو ذكر لأن «الله» يقول : ﴿... **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى**﴾[2] .. وإذا اجتمعوا لدراسة الفقه فهو ذكر .. وكل ذلك من فضل «الله» عليهم .. والفضل الأكبر والأعظم هو القبول .. ولكن كيف يأتى هذا القبول ؟ .. لقد خلق «الله» تبارك وتعالى أنواعا من الملائكة ذوى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاث ورُباع ، ويزيد فى الخلق ما يشاء .. وخلق لهم واجبات : فمنهم حَمَلةُ العرش ، ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، ومنهم الحَفَظَة والكَتَبَة ، ومنهم ملائكة سَيَّارة مهمتهم البحث عن مجالس الذكر ، وحضورها .. وهذه المجالس قد قدر «الله» أن يكون لها نور يُرَى فى

---

(١) عن أبى هُرَيرة (رضى الله عنه) البخارى (بلفظ مقارب) ك : الدعوات ب: ٦٦ ، جـ١١/٢٠٨ ، ٢٠٩ (٦٤٠٨) فتح البارى . ومسلم ك : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ب : فضل مجالس الذكر جـ٥/٥٤٤ ، ٥٤٥ (شرح النووى) .

(٢) طه : ١٤ .

السماء .. كما تُرى النجومُ فى الأرض .. فعندما ترى الملائكة السَّيَّارة هذا النور تعرف مكان المجلس فتتوجه إليه وتتنزَّل على أهله ، ويحفُّ بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا المسافة بين المجلس والسماء التى تبعد عنا بملايين السنين الضوئية ؛ مما يُشِير إلى كثرة عددهم .. ويظلون كذلك حتى ينفضَّ المجلس ، فيعرجون إلى السماء ، فيسألهم رب العزة جل وعلا - وهو أعلم بهم - أين كانوا ؟ فيخبرون بالمجلس وبأهله ، ويذكرون أسماءهم .. فتصبح هذه الأسماء مَعْرُوفة فى الملأ الأعلى وإن كانت مَجهولة فى الأرض .. وكأن «الله» تبارك وتعالى يريد أن يَمُنَّ عليهم ، ويتفضَّل عليهم ، ويُشهد الملأ الأعلى على ذلك العطاء ، فيسألهم عما يفعل هؤلاء الجالسون ، وماذا يريدون ؟ فتأتى الإجابة بأنهم يُرِيدُون الجنة .. رغم أنهم لم يروها ، ولكنهم آمنوا بها .. ويفعلون ما يفعلون من أجلها .. ويستجيرون من النار .. أى يلجأون إلى جوار رب العزة ليغيثهم من النار التى لم يروها ، ولكنهم صدَّقوا بوجودها .. ويستغفرون «الله» عز وجل من خطاياهم ، ومعاصيهم ، وتقصيرهم .. فتأتى الاستجابة الفورية من الرحمن الرحيم ، ويجيب قائلا :

«قد غَفَرْتُ لهم وأعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا وأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا» ..

ويتضح من الحديث أن هذا العطاء الربانى يتحقق من مجرد مجلس واحد .. لأن ربنا إذا قال صدق : ﴿... **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً**﴾[3] .. فطالما قال :«**قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**» فقد غفر ما كان ، وما يكون ، وأعطاهم ما سألوا ، وأجارهم مما استجاروا ، وهذا

---

(٣) النِّسَاء : ١٢٢ .

قرار أزلى،وخبر من «الله» عز وجل لا يقبل النقض ولا الاختلاف .. ولكن هذا لا يعنى أن يقوم العبد من مجلس الذكر فيفعل ما بدا له فيغفر له .. وإنما يعنى أن «الله» تبارك وتعالى سوف يعصِمُه بلُطْفِهِ ، ويباعد بينه وبين المعاصى بفضل هذا المجلس وبَرَكَتِه .. ولإبراز فضل وبركة الذاكرين «الله» ؛ يشير الحديث إلى أن الملائكة تعود فتستدرك وتقول : ياربِّ ، فيهم فلان – ويذكرون اسمه أيضا – عبد خطاء يقترف المعاصى ، ويقع فى الخطأ كثيرًا وقد جلس معهم مصادفة وعن غير قصد .. فيجيب الحق تبارك وتعالى بأنه قد غفر لهذا العبد أيضا ببركة من جلس معهم .. فأى مقام لهؤلاء الذاكرين عند «الله» ؟! وأى فضل لذكر «الله» عز وجل ؟ ذلك الفضل الذى بسببه يرفع الشقاء عن الجالس معهم ، ويغفر له .. ولو كان جلوسه هذا عن غير قصد !!!.

وبالمقابل .. فكل مجلس لا يُذكر فيه «الله» عز وجل قد يُسأل عنه الجالسون ، ويصبح وِزْرًا ونَدَمًا ؛ لقول النبى ﷺ :

٥٣ مَاجَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله تَعَالَى فِيهِ ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ ، إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً ، فإن شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ .[٤]

---

(٤) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) رواه الترمذىُّ ك : الدعوات ، باب : ٨ . (٣٤٤٠) جـ٩/٣٢٢ (تحفة الأحوذى) ، وقال : حديث حسن .

والحديث يشير إلى أن كل مجلس لا يذكر فيه «الله» عز وجل يكون عُرْضَةً للمُؤَاخذة والعقاب ومثارًا للندم والحسرة على الجالسين فيه ، ولو كان كلامهم فى المباح وليس فى المحظور .. فإن شاء «الله» غَفَرَ ، وإن شاء عاقب .. ولما كانت المجالس لا تخلو من مجلس مجاملة ، أو مجلس لَهْوٍ برىء ، أو مجلس عمل ، أو مجلس تبحث فيه أمور الدنيا المباحة .. ولا يأتى فى هذه المجالس ذكر «الله» ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر .. علمنا رسول الله ﷺ - رحمة بنا - كلمات إذا قِيلَتْ بعد انتهاء هذه المجالس غُفِرَ لقائلها ما كان من تقصير ، ورُفِعَ عنه العتاب والمؤاخذة .. حيث قالت السيدة عائشة رضى «الله» عنها :

٥٤ كَانَ رسول الله ﷺ لاَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إلاَّ قَالَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّى وَبِحَمْدِكَ ، لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَقَالَ : لاَ يَقُولُهُنَّ أَحَدٌ حَيْثُ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِى ذَلِكَ المَجْلِسِ .[٥]



---

(٥) رواه الحاكم عن عائشة رضى الله عنها والحديث صحيح كما ورد فى كتاب (صحيح الكلم الطيب للألبانى) وفى جامع الأحاديث (١٦٥٥٦) جـ٥/٢٠١ .

الكَـــلامُ والهَـــدْىُ

٥٥ إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الْكَلاَمُ والْهَدْىُ .. فَأَحْسَنُ الْكَلاَمِ كلامُ الله ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ .. أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَـةٌ .. أَلاَ لا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ .. أَلاَ إِنَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، وإِنَّمَا الْبَعِيدُ مَا لَيْسَ بِآتٍ .. أَلا إِنَّمَا الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، والسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ .. أَلاَ إِنَّ قِتَالَ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ ، وَسِبَابُـهُ فُسُوقٌ ، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ .. أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ لاَ يَصْلُحُ بالْجِدِّ وَلاَ بِالْهَزْلِ وَلا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لا يَفِي بِهِ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ : صَدَقَ وَبَرَّ ،

وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ : كَذَبَ وَفَجَرَ .. أَلاَ وَإِنَّ الْعَبْدَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا .[1]

الحديث جامع لموضوعات عديدة ، ومبرز لحقيقة هامة .. وهى : أنه لا يجب أن يهتم الإنسان إلاّ لأمرين اثنين .. ألا وهما : القول والفعل .. فخير الكلام كلام «الله» المبيِّن للحلال والحرام ، والمقرر للأحكام ، والهادئ إلى طريق السلام .. وخير الهَدْى هَدْىُ رسول الله ﷺ .. المبيِّن لكيفية العبادات ، والسلوكيات ، والأخلاقيات ، فلم يترك ﷺ أمرًا إلاّ وسنَّ لنا فيه سُنَّةً حَسَنَةً سواء أكان عبادة ، أم عادة ؛ لذلك حذَّرنا من مُحْدَثات الأمور .. وهى ما يحدثه الإنسان على أصل موجود .. وقد قال الحق تبارك وتعالى :

﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ...﴾[2] .. واكتمال الدين يعنى أنه لا شيء يمكن أن يُضَاف ؛ إذ لا نقص هناك .. وعليه فإن كل مضاف إلى شرع «الله» أو إلى سُنَّة رسول الله ﷺ يكون مُحْدَثًا ، وكل محدثة بدعة .. وكل بدعة ضلالة .. والكلمة وإن كانت هامة إلاّ أن هناك استثناء لبعض الأمور التى أقرَّهَا رسول الله ﷺ .. مما يعنى أن هناك بدعة سيئة وهى المقصودة بكلمة (ضلالة) ، وهناك بدعة حسنة تباح لفاعلها ويثاب عليها .. ودليل ذلك فى القرآن قول الحق تبارك وتعالى :

﴿.. وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَآءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

---

(١) عن ابن مَسْعُود (رضى الله عنه) رواه ابن ماجة ح (٤٦) فى المقدمة باب : ٧ جـ١/١٨ ط دار الحديث .

(٢) المائدة : ٣ .

فَاسِقُونَ﴾[3] .. أى أن الرهبانية لم تكن فى شرع النصارى ولكنهم ابتدعوها .. فمن رعى حقها أُثيب على ذلك ، ومن لم يَرْعَ حقها عُوقِب .. ومعنى ذلك أن «الله» قد أجاز لهم هذه البدعة .. وعليه فكل بدعة سواء أكانت قولا أم فعلا – ما دامت مُتَّفِقَة مع شرع «الله» وسُنَّة رسول الله ﷺ – فهى بدعة حسنة وجائزة .. كصلاة القيام جماعة التى ابتدعها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وقال عنها : **نِعْمَت البِدْعَة** ، أما إذا كانت مُخالفة أو مُعَارِضة لأَىٍّ منهما فهى بدعة سيئة تنطبق عليها كلمة (ضلالة) .. ويحذر الحديث من مضى الزمن على الإنسان دون علم بما يجب عليه ، والعمل به ؛ فيقسو قلبه .. أو يتباعد الزمان عن زمن الوحى ؛ ويهمل الناس العمل بسُنَّة رسول الله ﷺ ، وتشغلهم الدنيا عن الآخرة ؛ فيورثهم ذلك قسوة القلب .. أو يُوغل بعضهم فى الدين بغير رِفْقٍ وتؤدةٍ وتَثَبُّتٍ ؛ فيملُّوا الطاعة ويفقدوا الإحساس بلذَّتِها ، وما تُضْفِيه عليهم من روحانية ، وما تُورِثه من خلق كريم ، وسلوك فاضل .. إذ إن العبادات وسائل وليست غايات .. ويحذرنا ربُّنا تبارك وتعالى فيقول : **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[4] .. ثم يُؤَكِّد الحديث – مُشِيرا إلى الموت وإلى يوم القيامة – أن كل آت قريبٌ ، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ...﴾**[5] .. كما يؤكد أن البعيد هو ما ليس

---

(٣) الحديد : ٢٧ . (٤) الحديد : ١٦ . (٥) يونس : ٤٥ .

بآت .. والحق أن الإنسان بين مخافتين .. بين عاجل قد مضى لا يدرى ما «الله» صانع به ، وبين آجِلٍ قد بقى لا يدرى ما «الله» قاضٍ فيه .. والعاقل من يأخذ لنَفْسه من نَفْسه ، ومن شبابه لهرمه ، ومن صِحَّتِه لمرضه ، ومن فراغه لشُغْله ، ومن غناه لفقره . ويبين الحديث بعد ذلك أن الشقى من شَقِىَ فى بطن أُمِّهِ .. وهو الذى كتبت له الشقاوة – بعلم «الله» فيه – حين كان مُضْغَةً فى رَحِمِ أُمِّه ، وكَتَبَ المَلَكُ له أَجَلَهُ ، ورِزْقَهُ ، وعَمَلَهُ ، وشقى أو سعيد .. وقد جاء ذلك فى حديث سبق شرحه .. والشقى الحق هو من خَسِرَ آخِرَته؛فالدنيا لا تساوى عند «الله» جناح بعوضة .. أما السعيد فهو من وُعِظَ بغيره : فتأمَّلَ فى عاقبة العصاة والكفار الذين حَفَل القرآن ببيان مصيرهم ، فانتَبَهَ ، وتجنبَ الوقوع فيما وقعوا فيه .

ويوضح الحديث بعد ذلك أن قتال المؤمن كُفْرٌ ، وسبَابُهُ فُسُوقٌ .. إذ إن كل المسلم على المسلم حرام : دَمُه ، ومالُه ، وعِرْضُه .. فإذا كان هذا المسلم مؤمنا فلا شك أن الحرمة أشَدُّ وأفظع .

ويبين الحديث أن مجرد خصام المسلم وهجره فوق ثلاثة أيام من المحرمات ، وقد أبيحت الأيام الثلاثة حتى تهدأ النفوس ، ويذهب الغضب ، ويراجع الإنسان نفسه .. فيتَّقِى المسلم رَبَّه فى أخيه المسلم ويسارع المخطئ لاسترضاء من أخطأ فى حقه .. ثم يحذِّر الحديث من عاقبة الكذب فى الجدِّ أو الهزل ، حتى لو كان بين الأب وابنه .. فلا يصحُّ أن يعِدَ الأبُ ابنه بشىء ثم لا يفى بوعده ، فيسىء تربيته ويكون بذلك قدوة سيِّئة له . والأبناء أمانة يُسْأَل عنها الأبُ يوم

القِيامَة .. وقد يغفل الإنسان عن ذلك مُعْتَقِدًا أنه مع أبنائه غير مُعَاتَب ، ولكن الكذب كذبٌ ، والصدق صدقٌ ، مهما كانت المبرِّرات ، ومهما كان من تتحدَّث معه . ولذلك تقول الملائكة عن الصادق : صدق وبَرَّ ، فيكون مصيره إلى الجنة ، وتقول عن الكاذب : كَذَبَ وفَجَرَ ويكتب عند «الله» كذابا ، فيكون مصيره إلى النار وبئس القرار .

ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾(٦) .. فإذا كان كل لفظ مكتوبًا ومسطورًا ، فالفعل أَوْلى بذلك .

ومادام قد كُتِبَ وَسُطِّرَ ، فلابد أن يُسأل عنه الإنسان عَظُمَ أو صَغُرَ . ويحذِّرنا النبى ﷺ من الذنوب الصغيرة فيقول :

٥٦ إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا .(٧)

وهذا يؤكِّد أن العبد سوف يُسْأَل يوم القيامة عن كل ما يفعله من ذنوب أو أخطاء قد يستصغرها فى عينيه – اعتقادا منه بعدم أهميتها – فإذا به يطالَب بها يوم القيامة . والعاقل من الناس هو الذى تتضاءل فى نَظَرِه طاعته ، وتعظم فى عينيه معصيته ؛ إذ إن طاعته من فضل «الله» عليه ، أما معصيته فهى من فعل نفسه .. وإهمال الإنسان لصغائر الذنوب ، وعدم الاستغفار منها ، والإقلاع عنها

---

(٦) ق : ١٨ . (٧) عن عائشة (رضى الله عنها) رواه النسائى ، وابن ماجة ، وفى سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى حديث : (٥١٣) .

يجعلها تتراكم عليه فتلقى به إلى النار .. ولذلك ينبِّهنا الصادق المصدوق ﷺ فيقول :

٥٧ إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ : كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلاَةٍ ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ ؛ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا وَأَجَّجُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا .[٨]

ومُحَقَّرَات الذنوب هى ما يعتبره الإنسان حقيرًا لا يؤاخذه «الله» عليه ، فهو ليس من الكبائر أو الفواحش ، وإنما هى أخطاء صغيرة لا وَزْن لها ، فيهملها ، ولا يقلع عنها ، ولا يستغفر منها ، فإذا بها تتجمع ، وتتراكم ، وتوضع فى ميزانه فترجح كفة سيئاته .. ويشبه الحديث هذا الأمر بقوم مسافرين نزلوا بأرض واسعة خاوية لأخذ قِسْط من الراحة ، ويريدون أن يؤَجِّجُوا نارًا تكفى لطهى طعامهم .. فأخذ كل واحد منهم يأتى بِعُود من الحَطَبِ رفيع لا ينفع فى شىء ، ولا يمكن أن يُوقِد نارًا .. ولكن بعد أن جمعت هذه العيدان أصبحت كافِيَة لإشعال نار عظيمة أنضجت طعامهم .

وهذا التشبيه وإن كان غريبا إلاّ أنه يمثل ما تفعله الذنوب الصغيرة بالإنسان الذى لا ينتبهُ لها ، فتجتمع عليه فتهلكه .. والعياذ بـ«الله» .

---

(٨) عن ابن مسعود (رضى الله عنه) رواه أحمد ، والطبرانىُّ ذكره السيوطى فى جامع الأحاديث (٩٣٢٦) . جـ٣/٣٨٦ . بلفظ : «كمثل رجل» وبدون «قذفوا» ، وفى سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى (٣٨٩) جـ٢ .

ثَلاَثٌ وَثَلاَثٌ

٥٨ ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ .. وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا .. وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ . وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ .. وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً ، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ ، يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِى مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ .. وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً ،وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا ، يَخْبِطُ فِى مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ : لاَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حقًّا ؛ فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ .. وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِى مَالاً

لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ .[1]

يُقْسِم النبى ﷺ فى هذا الحديث على ثلاثة أمور .. وهو الصادق ﷺ بغير يمين :

أولا – لا ينقص مالٌ من صدقة بل يُبَارَك فيه فينمو ويزيد ولا إسراف فى الخير ، و«الله» تبارك وتعالى يَبْسُطُ الرزق لمن يشاء ويَقْدِر .

ثانيا – ما من عبدٍ يقع عليه ظُلمٌ فيصبر ، ويفوِّض أمره إلى «الله» إلاَّ ازداد عِزًّا ، والعزيز مَنْ أعزَّه «الله» : ﴿... **وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ** ...﴾[2] .

ثالثا – من سأل الناس من غير فاقة أو احتياجٍ زاده «الله» فقرا على فقر .. فالقناعة أمرٌ مطلوب ، والرضا بما قَسَمَه «الله» واجب . والقرآن يُشير إلى الفقراء الذين تَجب لهم الصدقة فيقول : ﴿... **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ...﴾[3] .. فليس المسكين مَنْ تردُّه اللقمة واللقمتان ، وإنما المسكين الذى أسكنه الفقر وأقعده وتعفَّف عن السُّؤال؛ فغفل عنه الناس .. ثم يُقَسِّم الحديث الناس إلى أربعة أصناف ، لكل صنف منهم منزلة يبلغها بعمله أو بِنِيَّته :

الصنف الأول : رجل آتاه «الله» مالا وعِلْمًا نافعا فعمل فى ماله بطاعة

(١) عن أبى كَبْشَةَ الأَنْمَارِىِّ (رضى الله عنه) رواه التِّرمِذِىُّ ك : الزُّهْد ، ب : ١٢ جـ٦/٦١٥ ، ٦١٦ (٢٤٣٧) .
(٢) الحَجُّ : ١٨ .
(٣) البقرة : ٢٧٣ .

«الله» .. فوصل به رَحِمَهُ ، وأنفق على الفقراء من ذوى قُرْبَاه ، وأدَّى حق «الله» فى المال فأخرج زكاته .. وهذا الصنف فى أعلى المنازل والدرجات بعمله .

الصنف الثانى : رجل آتاه «الله» عِلْمًا ولم يُؤتِهِ مالا .. فيرى الأول ينفِق ماله فى سبيل «الله» مُبتغيا رضاه ، فلا يحسده وإنما يغبطه فيدعو له ويتمنَّى أن يعطيه «الله» مثل ما أعطاه ، فيفعل فى ماله مثل فعله ، وهو صادق النِّيَّة فى ذلك ، فينال من الأجر بنيَّته ما ناله الأوَّل بعمله .

الصنف الثالث : رجل آتاه «الله» مالاً ولم يُؤتِهِ عِلْمًا فهو يتصرَّف فيه بغير عِلْمٍ وعلى غير هُدًى : فينفقه فى المعاصى ، ولا يعمل فيه بطاعة «الله» ، ولايخْرِج زكاته ، ويمنعه عن المستحقين .. وهذا الصِّنف فى أخبث المنازل يوم القيامة .

الصنف الرابع : رجل لم يُؤتِهِ «الله» مالا ولا عِلْمًا ، ينظر إلى من ينفق ماله فى معصية «الله» حاسِدًا له ، متمنِّيا لو كان عنده من المال ما يمكِّنه من ارتكاب المعاصى والإفساد فى الأرض ، فهما فى الوِزْر سواء : ذاك بعمله القبيح ، وهذا بنيَّة السُّوء .. إذ إن الأعمال بالنِّيَّة ولكل امرئ ما نوى .

وهناك حديث آخر يُقْسِم النَّبىُّ ﷺ فيه على ثلاثة أمور أخرى فيقول :

٥٩ ثَلاَثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ : لاَ يَجْعَلُ اللهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فى الإِسْلاَمِ كَمَنْ لاَ سَهْمَ لَهُ ،

وأَسْهُمُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ : الصَّلاَةُ والصَّوْمُ والزَّكَاةُ .. وَلاَ يتولَّى الله عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامةِ .. لاَ يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلاَّ جَعَلَهُ الله مَعَهُمْ .. والرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لاَ آثَمَ : لاَ يَسْتُرُ الله عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلا سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامةِ .(٤)

وهذه الأمور الثلاثة هى :

أولا – إن «الله» تبارك وتعالى لا يجعل من له سَهْمٌ فى الإسلام كمَن لا سَهْمَ له .. وأسهُمُ الإسلام ثلاثة هى : الصَّلاة ، والصَّوم ، والزَّكاة .. فلا يستوى المسلم الذى أدَّى الفرائض : فصلَّى ، وصام ، وزكَّى مع مَنْ لم يحافظ على صلاته ، أو صيامه ، أو زكاته .. فلو دخل الاثنان الجنة كانت درجة مَنْ له سهمٌ فى الإسلام أعلى وأرفع ممن ليس له سهمٌ فى الإسلام .. فمثلا حين يذكر النَّبىُّ ﷺ السبعة الذين يظلُّهم «الله» بظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه يذكر من بينهم الشَّابَّ الذى نشأ فى طاعة «الله» ومات عليها .. وبالتالى فمن عصى «الله» فى شبابه ثم تاب وقُبِلَت توبته ينجو من النار بفضل «الله» ، ويدخل الجنة برحمته ، لكنه لن يستظلَّ بظلِّ العرش يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلّ العرش .

---

(٤) عن عَائِشَةَ (رضى الله عنها) رواه أحمد ، والنَّسَائِىُّ ، والحَاكِمُ ، والبيهَقِىُّ ، وعن ابن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) رَوَاه أبو يَعْلَى ، وعن أبى أُمَامَة (رضى الله عنه) عند الطَّبرانىّ ذكره السُّيوطِىُّ (١٠٧٣٦) .

ثانيا – إذا كان العبد يتولَّى «الله» فى الدنيا .. أى كان مُفَوِّضا أمره إليه ، متوكِّلا عليه ، يقول : «**حَسْبِيَ اللهُ وِنِعْمَ الوَكِيلُ**» مؤمِنا بها ، مُطِيعا لأوامر الحق تبارك وتعالى، سَاعِيا فى طريقهِ ، لاجئا إليه ، مستغيثا به ، مستعينا به ، لا يسأل سِواه ... فإن «الله» تبارك وتعالى يتولاَّه يوم القيامة ولا يولِّيه غيره .. وصدق «الله» تبارك وتعالى حيث يقول : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ**﴾[٥] .

ثالثا – وهى نقطة بالغة الخطورة فائقة الأهمية .. فلا يُحِبُّ رجلٌ قوما إلاَّ كان معهم حيث صاروا : سواء إلى الجنة ، أو إلى النار .. فالمرء يُحْشَرُ مع مَنْ أَحَبَّ .. فإن أحبَّ الإنسان أهل النار – والعياذ بـ«الله» – دخلها معهم ، وإذا أحبَّ أهل الجنة دخلها معهم .. أى أن المرء يلقى مصير مَن أَحَبَّهم ولو لم يعمل بعملهم ؛ فعلى الإنسان أن يُحسِنَ اختيار مَن يُحِبُّ ، وأن ينظُر مَنْ يخالِل ؛ فالمرء على دِينِ خليله . ثم يُشير الحديث إلى أمرٍ رابع يرجو النَّبىُّ ﷺ لو أنه أقْسَمَ عليه لم يأثم .. وهذا القول منه ﷺ من باب الأمل فى رحمة «الله» عز وجل ، ومن باب التَّواضُع وهَضْم النَّفس .. ذلك أن مِنَ العِبَاد مَنْ لو أقسَم على «الله» لأَبَرَّه ، فكيف بسَيِّدِ الخَلْق أجمعِين ﷺ ؟!.. **وهذا الأمر الرابع هو** : إنَّ من عصى «الله» تبارك وتعالى فستره فى الدنيا لعِلْمِهِ بصِدْق نيَّته فى التوبة .. فإنه سوف يَستُره كذلك يوم

---

(٥) المائدة : ٥٥ ، ٥٦ .

القيامة ، ولا يفضحه بين خلقه .. والسِّتْر فى الدنيا هو ألا يطَّلع الناس على ذنوب العبد ومعاصيه بلُطْف «الله» تبارك وتعالى .. أما السِّتْر فى الآخرة فإن «الله» تبارك وتعالى يُدنى المؤمن ؛ فيضع عليه كنفه وسِتْره من الناس ، ويُقرِّره بذنوبه بينه وبينه فلا يَسمَعُهما أحد ، ثم يعطيه كتاب حسناته بيمينه كما ورد فى الحديث رقم (٣٦) السابق شرحه .



الأمَـــلُ فِــــى «الله»

٦٠ لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ لَمْ يُذْنِبُوا ، لَخَلَقَ الله خَلْقًا يُذْنِبُونَ ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُمْ ، وَهُوَ الغَفُـورُ الرَّحِيمُ .[1]

٦١ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ الله خَلْقًا يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ .[2]

٦٢ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ الله فَيَغْفِرُ لَهُمْ .[3]

هذه الأحاديث تدعونا إلى الأَمَل فى «الله» ، وفى سعة رحمته .. فكثيرًا ما يقع الإنسان فى المعاصى ، والذنوب ، والتقصير فى الطاعات .. ولا يمكن أن يعيش إنسان بغير خطأ .. فمن ذا الذى ما ساء قط ؟! ومن ذا الذى له الحُسْنى فقط ؟!

لقد خُلِقَ الإنسان ضعيفا كما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿... وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[4] .. كما يتضمَّن القرآن الكريم أوصافا عِدَّة للإنسان .. منها :

---

(١) عن ابن عُمَرٍ (رضى الله عنهما) رواه الحَاكِمُ ، ذكره السُّيوطِىُّ بزيادة : فيستغفرون فيغفر لهم (١٧٥٨٠) جـ٥/٣٨٠ . (٢) عن أبى أيُّوب (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ ك : التَّوبَة ، ب : سقوط الذنوب بالاستغفار جـ٥/٥٩٢ (شرح النووى) ، والتِّرمِذِىُّ ، وأحمد . (٣) عن أبى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ ك : التَّوبَة ، والباب السابق نفس الصفحة . (٤) النِّسَاء : ٢٨ .

التعجُّل فى الأمور : ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ...﴾[٥] .. ﴿... وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[٦] .. الظُّلْم والجهل : ﴿... وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[٧] .. الكُفْر بالنِّعْمَة: ﴿... إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾[٨] ، ﴿... وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٩] .

تلك طبيعة الإنسان .. وكل ابن آدم خطَّاء فالعِصْمة للأنبياء فقط .. وإنما تتفاوت الذنوب .. بين **كبائر** مُهْلِكة : كالشرك بـ«الله» ، وعقوق الوالِدَين ، وشهادة الزور ... **وصغائر** : كالنظر إلى المرأة الأجنبية ، والتقصير فى بعض الأمور .. والذين يجتنبون الكبائر فى موقفٍ أفضل وأسلم ، وأقرب إلى رحمة «الله» القائل : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾[١٠] .. كما أن هناك من يقع فى الذنب فيتنبَّه ويستغفر من قريب ، ويشير القرآن إلى هؤلاء فى قوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١١] .

وهناك من تتداركه رحمة «الله» فيتنبَّه قبل أن يقع فى المعصية كالذين أشار إليهم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[١٢] .

---

(٥) الأنبياء : ٣٧ . (٦) الإسراء : ١١ . (٧) الأحزاب : ٧٢ . (٨) الحج : ٦٦ .
(٩) إبراهيم : ٣٤ . (١٠) النساء : ٣١ . (١١) آل عمران : ١٣٥ . (١٢) الأعراف : ٢٠١ .

وهناك من يُذْنِب ولا ينتبه لذنوبه ، ولا يُبالى بها .. وهؤلاء قد أوكلهم «الله» إلى أنفسهم .. قد نَسُوا «الله» فأنساهم أنفسهم .. فالناس فى شأن الخطأ والوقوع فى المعصية درجات وأنواع .. وعلى الإنسان الذى يقع فى الخطأ أن يسارع بالاستغفار والتوبة ولا ييأس من رحمة «الله» أبدا .. ذلك أن الوقوع فى الخطأ أمر لابد وأن يحدث ؛ نظرًا لطبيعة الإنسان التى سبق الإشارة إليها .. ولو لم يخطئ الناس فيستغفرون فيغفر «الله» لهم لتعطَّلت صفة الغُفْرَان .. و«الله» تبارك وتعالى يقول عن نَفْسِه : ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ** ...﴾[13] .. ﴿... **إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾[14] .. ﴿**وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[15] .. وما دام «الله» هو **غَافِرُ** الذنب ؛ فلابد وأن يكون هناك مذنب يستغفر .. وما دام «الله» هو **الغَفُور** ، فلابد وأن تكون الذنوب متعددة متنوعة وجميعها قابلة للغُفْران .. وما دام «الله» هو **الغَفَّار** .. فلابد أن الذنب الواحد الذى يتكرر ولو مائة مرة فى اليوم قابل للغُفْران فى كل مَرَّة .

وعليه فإن المفاضلة بين إنسان وآخر هى فى مقدار الذنوب التى يرتكبها ، ونوعيتها ، ومدى المسارعة فى الاستغفار ، والتوبة ، والإقلاع عنها؛ فهناك المجتنبون للكبائر ، وهناك المجتنبون للصغائر ، وهناك المسارعون بالتوبة والاستغفار ، وهناك المؤخِّرون للتوبة ، والغافلون عن الاستغفار .. وهكذا .. وقد جاء فى القرآن أمثلة

---

(١٣) غَافِر : ٣ .   (١٤) النساء : ٤٣ .   (١٥) طه : ٨٢ .

عديدة لبيان المسارعة فى التوبة والاستغفار .. منها ما جاء فى شأن آدم وحواء عليهما السلام حين أكلا من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما فسارعا بالتوبة : ﴿**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[16] .. ومنها ما جاء فى شأن نُوح عليه السلام حين قال له ربه : ﴿... **فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[17] .. فسارع قائلا : ﴿... **رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِى أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾[18] .. ومنها ما جاء فى شأن موسى عليه السلام حين وَكَزَ الرَّجُل فقضى عليه بدون قصد فسارع قائلا : ﴿... **رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ** ...﴾[19] .. هذا ، وباب التوبة مفتوح على مِصْرَاعيه مهما عظمت الذنوب والخطايا ، وتعدَّدت ، وبَلَغَت من الكثرة والضخامة عنان السماء .. ولا تزال أمام المذنبين الفرصة للتوبة والرجوع إلى «الله» لقول النبى ﷺ :

٦٣ لَوْ أَخطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خطَايَاكُمُ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ ، لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ .[20]

وهذا بشرط أن تكون التوبة قبل الموت وقبل أن يُغَرْغِر الإنسان لقول «الله» عز وجل : ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى**

(١٦) الأعْرَاف : ٢٣ . (١٧) هُود : ٤٦ . (١٨) هود : ٤٧ . (١٩) القَصَص : ١٦ .
(٢٠) عن أبى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) رواه ابن مَاجَةَ فى سُنَنِهِ ، ذكره السُّيوطِى فى الجامع الكبير (١٧٥٦٣) . جـ٥/٣٧٨ .

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ ...﴾[٢١] .. ويُنَبِّه النبى ﷺ إلى ذلك فيقول :

٦٤ مَنْ تَابَ إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ .[٢٢]

وليس معنى ذلك أن يُسَوِّف الإنسان ويُؤَجِّل توبته لأنه لا يدرى متى يأتيه الموت . فقد يأتى فجأة ودون انتظار . وحوادث الحياة خير شاهد على ذلك.. كما وأن باب التوبة سوف يُقْفل يومًا ما.. يوم تطلع الشمس من مغربها ، فيُغْلق بالنسبة لأهل الأرض جميعا ، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ...﴾[٢٣] .. وطلوع الشمس من مَغْرِبها هو المقصود فى هذه الآية ، وهو من العلامات الكبرى لقيام الساعة .. والتى بحدوثها يُقْفَل باب التوبة نهائيا وتُطوى الصحائف .. ولذلك ينبِّه رسول الله ﷺ المذنبين للمُسَارعة بالتوبة قبل حدوث ذلك ، فيقول :

٦٥ مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ .[٢٤]

---

(٢١) النِّسَاء : ١٨.(٢٢) عن أحد الصَّحَابَة (رضى الله عنهم) رواه الحَاكِمُ ، ذكره السُّيُوطِىُّ فى جامعه (٢٠٤٤٤) جـ١٢٨/٦. (٢٣) الأَنْعَام : ١٥٨. (٢٤) عن أبى هُرَيْرَةَ (رضىَ الله عنه) رواه مُسْلِمٌ ك: الذكر والدعاء والتَّوبَة والاستِغفَار ب : التَّوبَة ، ج٥٥٤/٥ (شرح النووى) .

ونحن الآن بفضل «الله» تبارك وتعالى ما زلنا فى دائرة الحِلْمِ والإمهال. فعلينا أن نغتنم الفرصة.. ذلك أنه إذا ما قُفِلَ باب التوبة فى وجه العبد بالموت ، أو قُفِلَ فى وجه الجميع بطلوع الشمس من مَغْرِبها هلك من فاتته فرصة التوبة .. وأول ما يلقاه العبد الذى لم يوفَّق للتوبة قبل موته هو فتنة القبر وعذابه الذى يشير إليه النبى ﷺ بقوله :

٦٦ لَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ .[٢٥]

وكأن الناس لو سمعوا ما يحدث فى القبور ما اجْتَرَأَ أحد على دفن أحد ؛ إذ إن عذاب القبر أخطر من كل تصوُّر .. وصراخ المعذَّبين فى قبورهم يسمعه كل ما على الأرض ما عدا الثقلين : الإنس والجن ؛ لأن كليهما يموت ويُدْفَن .. وقد وردت الإشارة إلى عذاب القبر فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٢٦] .. وكذلك فى قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٢٧] .. وحين يموت الإنسان ويُدفن وتُسوَّى عليه الأرض يفاجأ بأنه قد استيقظ وأُجْلِسَ ، وأمامه مَلَكَانِ يُبَادِرَانِهِ بالسؤال : مَنْ رَبُّكَ ؟ مَا دِينُكَ ؟ ماذا كُنت تقول فى ذلك الرَّجُل– يقصدان النبى ﷺ دون

(٢٥) عن أنس (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ ك : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ... جـ٥/٧٢١ (شرح النووى) . (٢٦) غافِر : ٤٦ : (٢٧) الأنفال : ٥٠ .

أن يذكرا اسمه – فمن يثبِّته «الله» عز وجل يُلهَم الإجابة الصحيحة فيقول : ربِّى الله ، ودينى الإسلام ، ويفهم الإشارة عن النبى ﷺ فيقول : هو رسول الله أتانا بالحق والهدى فصدَّقْنَاه واتَّبعْنَاه .. فتقول الملائكة : **نَمْ آمِنًا ، قَدْ عَلِمْنَا إنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا** .. أما من كانت الدنيا كل همِّه ، ولها سعى ، ومن أجلها عمل .. فيفاجأ بظُلْمَة القبر التى لا تَعْدلُها ظُلْمَة ، وبالمَلَكَيْن ، والسُّؤال .. فيخاف ويرتعد ويضطرب ويتلعثم ولا يُلْهَم الإجابة ، وإنما يقول : **سَمِعْتُ الناسَ يَقُولُونَ شيئا فقلتُ كما يقُولُونَ** .. فتضربه الملائكة ضربة يصرُخ منها صرخة ، يسمعها كل ما على الأرض إلا الجن والإنس ، ويُضَيَّق عليه القبر حتى تختَلِف أضلاعه .. لذلك خاف النبى ﷺ أن يسأل «الله» أن يُسْمِعَنَا عذاب القبر حتى لا نمتنع عن دَفْن موتانا ، ولكنه أخبرنا عنه ، وحذَّرَنا منه . فالكيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَه وعمل لما بعد الموت .. والعاجز من أتبع نَفْسَه هواها ، وتمنى على «الله» الأمانِى .



أَسْعَدُ النَّاس بالدُّنْيَا

٦٧ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُكَذَّبُ فِيهِ الصَّادِقُ ، وَيُصَدَّقُ فِيهِ الْكَاذِبُ .. وَيُخَوَّنُ فِيهِ الأَمِينُ ، ويُؤْتَمَنُ الْخَئُونُ .. وَيَشْهَدُ الْمَرْءُ وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ .. ويَحْلِفُ وإِنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ .. ويَكُونُ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعَ ابْنَ لُكَع ، لاَ يُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ .[1]

لاشك أنه حين يُحَدِّثُ الرسول ﷺ أصحابه عن المستقبل بحديث كهذا ، فهو لا يعنيهم به لأنهم لن يحضروا ذلك الزمان ، وإنما يعنى به الذين سيأتون فى أزمنة تالية ، ولم تتح لهم فرصة معاصرته ﷺ .. فيرون جانبا من الإعجاز الدالّ على صِدْق نبوَّته ؛ حيث يتحقَّق كلامه بعد مئات السنين مما يدل على كونه رسولاً يُوحَى إليه .. وكذلك يحدِّثهم بهذه الأحاديث ليحفظوها وينقلوها لمن يأتى بعدهم فتتناقلها الأجيال إلى أن يأتى زمان تحقُّقها فينتبه الناس ، ويحتاط المؤمن لنفسه ، ويساعده الحديث على رسوخ عقيدته،وثبات يقينه . والصحابة رضوان «الله» عليهم-رغم عدم حضورهم لذلك الزمان- حفظوا هذه الأحاديث ورووها للتابعين الذين حَدَّثوا بها

(١) عن أمّ سَلَمَة (رضى الله عنها) رواه الطَّبَرانىُّ، ذكره السُّيوطى فى جامعه (١٧٩٢٩) جـ٥/٤٣٩،٤٤٠ .

تابعيهم .. وهكذا حتى وصلت إلينا ، وأصبح من واجبنا أن نرويها لمن وراءنا .. لأن الزمان الذى يشير إليه الحديث زمن غريب للغاية : حيث تختلط فيه المعايير ، وتختلُّ القِيَم ، ويصبح القابض فيه على دينه كالقابض على جمرة من النار ؛ إذ يُصَدَّق الكاذب ، ويُكَذَّب الصادق .. ويُخَوَّن الأمين ، ويُؤْتَمن الخئونُ الذى أصبحت الخيانة فى طَبْعِه .. فأين يذهب الصادق الأمين فى مثل هذا الزمان الذى قد تبلغ فيه الفِتَن الحدَّ الذى قد يَتَّهِم المؤمن فيه نَفْسَه ، ويُسِيء الظنَّ بـ«الله» وتهتزّ عقيدته .. فإذا سمع هذا الحديث وأمثاله عَلِم أن «الله» تبارك وتعالى قد قضى بهذا .. ﴿... **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ** ...﴾[2] .. وتيقَّن أن العيب ليس فيه ، فيتمسَّك بعقيدته ، ويلزم بيته قدر المستطاع .

ويُشير الحديث إلى علامات لهذا الزمان حتى يعرف المسلم متى يأتى ، وهل هو يعاصره أم لا ؟ فيقول : «**يَشْهَدُ الرَّجُلُ ولم يُسْتَشْهَدْ وَيَحْلِفُ وإنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ**» .. والشهادة بالغة الخطورة ، ويخشاها الصالحون ؛ إذ بها تتقرَّر الحقوق .. والإنسان قد ينسى ، أو يخطئ ، أو تتنازعه الأهواء .. من أجل ذلك لا يشهد إلاّ إذا طُلِب للشهادة ، فيتحرَّى الصدق والحق ولو كان على نَفْسِه أو الأقربين .. ولا يشهد تطوُّعا إلاّ إذا كانت شهادته ضرورية لحفظ حق قد يضيع .. ولقد كان من فرط خوف الصالحين من الشهادة – لخطورة تبعاتها – أن حذَّرهم «الله» تبارك وتعالى من كتمانها بقوله : ﴿... **وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ...﴾[3] .. كما أن الحَلِفَ بغير

(٢) الأنعام : ١١٢ . (٣) البقرة : ٢٨٣ .

استحلاف دليل على تهاون الحالف باليمين ، وعدم تقديره لخطورته .. وربنا تبارك وتعالى يقول : ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ﴾[٤] .. ثم يختم الحديث بالإشارة إلى أن أسْعَدَ الناس فى ذلك الزمان هو لُكَعُ ابنُ لُكَع لا يؤمن بـ«الله» ورسوله ، أى كافر ابن كافر .. ومنبع سعادته أنه سوف يُصَدَّق ويُؤْتَمَن رغم عدم أحقيَّته لذلك ، فتتاح له فرصة أكل أموال الناس بالباطل ، وأخذ الرشا على شَهَادة الزور ؛ ويبيع دينه بعَرَض من الدنيا قليل .

ويحدِّثُنا النبى ﷺ عن زمان آخر قد يواكب ذلك الزمان ، أو يكون سابقا أو لاحقا له فيقول :

٦٨ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً ؛ يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ .[٥]

ولعل «الله» يأمر الأرض فى هذا الزمان أن تخرج كنوزها فلا يبقى أحد فقيرًا ؛ حتى إذا خرج بصدقته من ذهب لم يجد من يأخذها منه .. وهذا يخالف ما يُنْشَر من أبحاث لمختلف الهيئات والعلماء الذين يرون أن المجاعة قادمة لا محالة ، وأن حروب المستقبل ستكون من

---

(٤) القَلَم : ١٠ .(٥) عن أبى مُوسَى (رضى الله عنه) رواه البخارىُّ فى صحيحه ك : الزكاة ، ب : ٩ - الصدقة قبل الرد (١٤١٤) جـ٣/٢٨١ (فتح البارى) ، ومُسْلِمٌ .

أجل الصراع على مصادر المياه ؛ ولابد من تنظيم النسل وما إلى ذلك .. و«الله» يعلم وهم لا يعلمون .. أو ربما يحدث ذلك فى زمان متأخِّر جدا بعد حدوث الحروب والمجاعات التى يتوقَّعونها .. كما يُشير الحديث إلى أمر آخر ، وهو زيادة عدد النساء عن عدد الرجال حتى إن الرجل يجد نَفْسَه وقد أحيط بأربعين امرأة يلُذْن به ، فيصبح مسئولا عنهن .. وقد يحدث هذا بقيام الحروب وموت الرجال فلا يبقى إلاّ القليل منهم .. وقد يحدث بأن يقضى «الله» تبارك وتعالى لكل حامل أن تلد أنثى إلاّ القليل منهن .. وأيا كانت الأسباب فهذه الظاهرة من علامات ذلك الزمان ، وصدق رسول الله ﷺ فى كل ما أخبر به .. وهو يحذِّرنا من زمان آخر قد يختلف عن الزمانين السابق الإشارة إليهما ، وقد يواكبهما .. فيقول :

٦٩ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، لا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَ أَخَذَ الْمَالَ : أَمِنْ حَلاَلٍ ؟ أَمْ مِنْ حَرَامٍ ؟!.[٦]

والمال الحرام ليس هو المال المغصوب أو المسروق فقط .. بل إن الصانع الذى لا يُتْقِن صنعته ، والطبيب الذى يعالج فى غير تخصُّصه ، والمدرِّس الذى لا يقوم بواجبه .. كل هؤلاء وأمثالهم يتكسَّبُون من حرام . ومن عظمة الإسلام أنه يُرَبِّى الضمائر ويوقظها .. فلا يحتاج المسلم إلى رقيب من الناس .. فالرقيب عليه ضميره .. وبقدر

---

(٦) عن أبى هُرَيْرَة (رضى الله عنه) رواه البُخارِىُ وأحمد . جامع السيوطِى (١٧٩٢٦) جـ٥/٣٤٩ .

ما نبتعد عن تعاليم الإسلام بقدر ما تضعف الضمائر وتموت . وتتمثَّل خطورة المال الحرام فى أنه يُتْلِف الجسد ، ويصيبه بالأمراض المستعصية التى لا شفاء لها .. بالإضافة إلى عذاب النار يوم القيامة فكُلُّ لحم نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فالنار أولى به .

فعلى المسلم أن يتَّقِى «الله» فى : نَفْسِهِ ، وأبنائه ، ويتحرَّى الحلال فى كَسْبِهِ ، ويُتْقن عمله ، ويبعد عن المال الحرام بكافَّة صوره .. ومن يستعفِف يُعفّه «الله» ، ومن يستغنِ يُغْنِه «الله» ، ومن يتحرَّ الخير يعطَه .



أَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ صَاغِرَةٌ

٧٠ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ وَسَدَمَهُ(٠)، وَلَهَا شَخَصَ ، وإِيَّاهَا يَنْوِى ، جَعَلَ الله الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْهَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هِمَّتَهُ وسَدَمَهُ ، وَلَهَا شَخَصَ ، وإِيَّاهَا يَنْوِى ، جَعَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ الْغِنَى فِى قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ صَاغِرَةٌ .(١)

الحديث نصيحة غالية ، ودعوة لأن نكون من أبناء الآخرة ، لا من أبناء الدنيا فإن كل أمٍّ يَتْبَعُها ولدُها .. والدنيا إلى فناء وزَوَال ، ولا تُسَاوِى عند «الله» جناح بعوضة ؛ وإلاّ ما سقى منها الكافر شربة ماء .. فمن كانت الدنيا هى : همَّه ، واهتمامه ، وشغله الشَّاغل ، يتعلَّق بها ، ولا ينظر إلى سِواها ، قد اشتدَّ حُبُّه ووَلَعُه بها .. إليها يسعى ، ولها يطلب ، ومن أجلها يجِدُّ ويجتهد ؛ جعل «الله» الفقر بين عينيه .. فمهما جمع من مال لا يشبع ولا يقنع ، وشتَّت «الله»

---

(٠)السَّدَم : الولوع بالشَّىء. (١) عن أنس (رضى الله عنه) عند البزَّار، والطبرانِّى ، والبيهقى،وعن زيد ابن ثابت (رضى الله عنه) عند ابن ماجة ، ذكره الألبانُى فى الأحاديث الصحيحة جـ٢ ح(٩٤٩) .

عليه ضيعته .. فلا يُجْمَع له أمر ، ولا يستقرُّ له حال ، ولا يستريح له بال ، ولا يَأمَن على ماله من غوائل الزَّمن ؛ فيستفرغ وقته وجهده فى محاولة الحفاظ عليه وتنميته .. وقد كان أبو الدَّردَاءِ (رضى الله عنه) كثيرًا ما يدعو قائلا : (**اللَّهُمَّ إنِّى أعُوذُ بِكَ مِنْ شَتَاتِ الْقَلْبِ**) .. ولما سُئِلَ عن شتات القلب : ما هو ؟ قال : (**أنْ يَكُونَ لَكَ فِى كُلِّ وَادٍ مَالٌ**) .. أى أنواع مختلفة من الأموال كالأملاك ، والتِّجارة ، والزِّراعة ، وما إلى ذلك ؛ فيتشتَّت القلب ؛ وينشغل الفكر ، ويُلْهى الإنسان عن آخرته .. أما على الجانب الآخر .. فمن كان من أبناء الآخرة .. لها يسعى ، وإيَّاها يطلب ، ومن أجلها يعمل .. لا يشغله عنها شاغل فإن «الله» تبارك وتعالى يجعل غِنَاه فى قلبه .. فلا يشعر بالفقر إلاّ «لله» .. ولا يكون له حاجة فى شىء ، ولا احتياج لمخلوق ولا يلجأ إلاّ «لله» .. ولا يسأل سواه .. يعلم علم اليقين أن ما فاته من «الله» سوى «الله» يسير ، وكل حظٍّ له سوى «الله» حقير .. ومن كان هذا شأنه جمعت عليه ضَيعَتُه ، وصَلُحَ باله ، واستقرَّت أحوالُه ، وأتَتْهُ الدُّنْيَا صَاغِرَةً دون جهد أو تعب ، ورزقه «الله» من حيث لا يحتسِبُ .. ويُشير القرآن إلى هذه المعانى فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ**﴾[٢] .. فلينتبه كل غافل .. فمن كان يريد الدُّنْيَا لا يصيب منها إلاّ ما كُتِبَ له ، وقد يخسر آخرته .. ومن كان يريد الآخرة يَسْعَدُ فيها ، وتَأْتِيهِ الدُّنْيَا صاغِرَةً .. فـ«الله» تبارك وتعالى هو

---

(٢) الشُورى : ٢٠ .

المالك للدُّنيا والآخرة ، وهو العاطى منها ما يشاء لمن يشاء .. وهو القائل :

﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلآءِ وَهَؤُلآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٣] .

هذا وقد حرص النَّبىُّ ﷺ على التَّحذير من طلب الرِّزق بالمعصية .. فإن ما عند «الله» لا يُدْرَك بمعصِيَةٍ .. ونبَّه إلى أن يكون الطَّلب للرِّزق من «الله» تبارك وتعالى بطاعته ، واللجوء إليه دون استبطاءٍ للإِجابة .. فلن تموت نفس حتي تَسْتَوْفِى رزقها .. وقال ﷺ فى هذا الشأن :

٧١ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ إلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلاَ عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ النَّارِ إلاَّ وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ .. فَلاَ يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَلْقَى فِي رَوْعِي : إنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ .. فَاتَّقُوا الله أَيُّهَا النَّاسُ وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، فَإِنِ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ؛ فَلاَ يَطْلُبْهُ بِمَعْصِيَةِ الله ، فَإِنَّ الله لاَ يُنَالُ فَضْلُهُ بِمَعْصِيَتِهِ .[٤]

---

(٣) الإسْرَاء : ٢٠.(٤) عن ابن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) رواه الحاكِمُ ، ذكره السُّيوطِىُّ فى جامعه (١٨٢٩١) جـ٥/١٠٥ ، والترغيب والترهيب ٥ جـ٢/٥٣٤ .

ويتَّضح من الحديث أن الرَّسول ﷺ لم يترك فرصة لأحد ليضيف شيئا لِشَرْع «الله» .. وإنما بين لنا بوضوح تام كلَّ عمل يقرِّبنا من الجنة ، ونصحنا به ، ونهانا عن كل عملٍ يقرِّبنا من النار فهو ﷺ كما قال تعالى فيه : ﴿... **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[5] .. ومن ثم فلا مصدر للتشريع وبيان الحلال والحرام إلاّ عن طريق رسول الله ﷺ ومن خلال القرآن والسُّنَّة .. وأما الرزق فهو بيد «الله» عز وجل وهو مقسوم ومقدَّر ومكتوب .. فلا يجب أن يكون تحصيله هو شغلنا الشَّاغل .. و«الله» تبارك وتعالى يقـول : ﴿... **لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْـنُ نَـرْزُقُكَ والْعَاقِبَـةُ لِلتَّقْوَى**﴾[6] .. أى أن «الله» لا يكلِّف الإنسان أن يرزق نفسه بل هو الرَّزَّاق ذو القوَّة المتين المتكفِّل برزق مخلوقاته ، وهو القائل : ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا** ...﴾[7] .

والمتأمِّل لآيات القرآن الكريم يجد أن مسئولية الرزق ليست للإنسان وأنه مكلَّف بعبادة الله والتوكُّل عليه فى كلِّ أموره . ويشير إلى هذا المعنى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿... **وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[8] .. وكلمة الأمر فى هذه الآية ليست مفرد الأوامر وإنما هى واحد الأمور .. وعليه فجميع الأمور بيد «الله» عز وجل ، ومنها : أمر الرزق .. وما على الإنسان إلاّ أن يعبد «الله» تبارك وتعالى ويتوكَّل عليه فى سَعْيِهِ للرِّزق وفى كل أموره وشئونه .. وأن يكون جلَّ اهتمامه

---

(٥) التوبة : ١٢٨. (٦) طه : ١٣٢. (٧) هُود : ٦. (٨) هُود : ١٢٣ .

البحث عما يقربه من الجنة فيأتى منه ما استطاع ، وتَحَرَّى كل ما يقربه من النار فيجتنبه .. ولا يستبطئ رزقه لأن استبطاء الرزق قد يقود الإنسان لمحاولة الحصول عليه من خلال معصية «الله» عز وجل فيهلك ولا ينال من الدنيا إلاّ ما كتب له .. ولو أنه قنع ورضى وصبر لأتاه هذا الرزق من حلال دون زيادة أو نقص،ولنجا من غضب «الله» وعذابه .



شَهَامَةُ الْمُسْلِم

٧٢ مَامِنِ امْرِئٍ يخْذُلُ امْرَءًا مُسْلِمًا فِى مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ، إلاَّ خَذَلَهُ اللهُ تَعَالَى فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ .. وَمَامِنْ أَحَدٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِى مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إلاَّ نَصَرَهُ اللهُ فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ[1] .

الحديث يُشِير إلى خُلُقٍ رَفِيع ، وهو : الشَّهَامَة ، وهو أَمْرٌ لا يُكَلِّف الإنسان شيئا سِوى الوقوف إلى جانب الحق .. والشَّهَامَة فى الإنسان لا تعنى حَمِيَّة الجاهلية .. وإنَّما الشَّهَامَة خُلُقٌ يدفع الإنسان للوقوف بجانب أخيه المُسْلِم فى الحقِّ بشجاعة وتَصَلُّبٍ .. وفى الحديث وَعْدٌ ووعِيدٌ على سُلُوكٍ إزاء موقف معين .. وهو : أن يكون المُسْلِم فى وضع يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِه .. أى : يُسَبُّ ، ويُغْتَابُ ، ويُسَاءُ إليه ، ويُعْتَدَى على حُرمَتِه ، ويَحْتَاج إلى من يُنَاصِرُهُ بِرَدِّ غِيبَتِه ، والدِّفاع عنه ، والوقوف إلى جانبه .. فَمَنْ شَهِد موقفا

---

(١) عن جَابِرٍ وأَبِى طَلْحَة بن سَهْلٍ (رضى الله عنهما) رواه أَبُو دَاود بلفظٍ مقارب ، ك : الآداب ، ب : ٤١ (٤٨٦٣) جـ١٣/٢٢٨ .

كهذا وسَكَتَ عليه كان ذلك منه خِذْلانًا لأخيهِ ، وهُنَا يتحقَّقُ الوعِيد له بأن يتعرَّض لِنَفْسِ الموقِفِ ، ويتمنَّى أن يكونَ «الله» معه ناصرًا ومُعينا ، فيخذله «الله» - حتى ولو كان مُسْتَحِقًّا للمُنَاصَرَة - ويخيب رجاؤه وأمله بسبب خِذلانه لأخيه المُسْلِم مِنْ قبل .. فمن زرع حصد .. أمَّا مَنْ نَصَرَ مُسْلِمًا فى موطن كهذا تحقَّق له وَعْدُ «الله» بالنصر فى موطن يُحِبُّ فيه نُصْرَته .. فيهيِّئ له مَنْ يُدافِع عنه ، ويقف بجانبه .. ويصرف «الله» عنه كَيْد أعدائه ؛ فلا يُصيبون منه شيئا وصدق «الله» العظيم حيث يقول : **﴿إنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾**[٢] .

والعِرْضُ هو موطن المَدْحِ والذَّمِّ من الإنسان ، فإن قِيل : فُلانٌ بَخِيلٌ أو فاسقٌ فقد انْتُقِصَ من عِرْضِه .. وأمَّا حُرْمَةُ الإنسان فهو كلُّ ما يَخُصُّه ولا يَخُصُّ غيره ، ويَحْرُمُ الاعتداء عليه بأيِّ أسلوبٍ كان .

وردُّ غِيبة المُسْلِمِ نَصْرٌ له ، ودِفَاعٌ عن عِرْضِهِ .. أمَّا السُّكوت على ذلك فهو خِذْلانٌ له .

ويُشْعِرُنا الحديث بوجوب تكافُل المُسْلِمِينَ وتناصُرهم ؛ فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسَّهر .

وذلك ينطبق على الدُّوَل الإسلاميَّة فيما بينها وبين بعض كما ينطبق على الأفراد ، والانعزالية التى تدين بها بعض الدول أو الأفراد ،

---

(٢)الحَج : ٣٨ .

والاهتمام بالذَّات دون الاهتمام بالغير يُعَرِّض الأمَّة للتفكُّك ، والانهزاميَّة ، وعدم الانتماء .

وقد نما إلى علمِ أحد الخُلَفاء أن مُسْلمًا يُعَذَّبُ لدى قومٍ قد وقع أسيرًا فى أيديهم .. فأرسل خطابا إلى مَلِكِهِم يقول فيه : **لَتَرْفَعَنَّ العذابَ عَنِ الأسيرِ ، ولَتُرْسِلَنَّهُ إلينا مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا أو لأُرْسِلَنَّ إليكَ جَيشًا يَكونُ أوَّلُهُ عِندَكَ وآخِرُهُ عِنْدِى** .. فسارع المِلِك بإطلاق سراح الأسير ، وأعاده سالما مُكَرَّمًا .. وهكذا كان التناصر بين المسلمين .. فارتفع شأنهم ، وساد الوئام والحُبُّ بينهم .



التَّنَاهِى عَنِ الْمُنْكَرِ

٧٣ مَامِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِى إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَالا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ[١] .

الحديث يُخْبِرنا عمَّا حدث فيما مضى ، وكأنه سُنَّة «الله» فى خَلْقِه .. ويتَّضح ذلك من قول «الله» عز وجل عن بنى إسرائيل : **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢]** .. وهؤلاء هم المُتَمَسِّكُون بالكتاب وسُنَّة نبيِّهم .. فلما تباعد الزَّمان عن عصر النُّبوَّة ، ونور الوَحْى ، وأهمل الناس كتابهم وسُنَّة نبيِّهم حكى القرآن عنهم : **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ...﴾[٣]** .. وهكذا فى كل عصر وزمان إذا ابتعدت الأُمَّةُ عن التَّمسُّك بكتابها وسُنَّة نبيِّها .. تأتى أجيال

(١) عن ابنِ مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٠) . (٢) السَّجْدَة : ٢٤ . (٣) الأَعْرَاف : ١٦٩.

لا تَعْرِف عن الدِّين إلاّ اسمه ، ولا تعرف من الكتاب إلا رَسْمَه ، وتُنْقَضُ عُرَى الدِّين عُرْوة عُرْوة ، وأوَّل ما يُنْقَضُ من عُرَى الدِّين الصَّلاة .. ويشير الحقُّ تبارك وتعالى إلى ذلك فيقول : ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾[4] .. وتَرْك الصَّلاة يُؤَدِّى إلى اتِّباع الشَّهوات ، فالصَّلاة نور ؛ وهى أوَّل ما يُسْأَل عنه العبدُ يوم القيامة فإن صَلُحَت ؛ صَلُحَ سائر عمله .. وإن فسدت ؛ فسد سائر عمله .. والمحافظة على الصَّلاة تُؤَدِّى إلى التَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة قولا وعملا .. فالكتاب يجب أن يكون حَيًّا ، مُنَفَّذا ، ومَعمُولا به ، وليس أثرا من الآثار فإن أصبح كذلك وتُرِكَ العملُ به رأيت الناس يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يُؤْمَرون .. فهم يتكلَّمون بالكتاب وبسُنَّة نبيِّهم ولا يعملون بهما ، وتخالف أعمالهم أقوالهم .. وعندئذ .. وَجَبَ على المتمسِّكين بدينهم أن يجاهدوهم : باليد ، أو باللسان ، أو بالقلب ، كلٌّ بحسب موضعه ، وقدر طاقته .. وليس وراء الإنكار بالقلب لمن لا يستطيع سواه حَبَّة خردل من إيمان ؛ لأنه يكون حينذاك راضيا بما يفعلون ، ومن لم يشهد المعصية ورضى بها كان كمن شَهِدَها .. وتتَّضح خطورة عدم مقاومة المنكر فى قول النَّبى ﷺ :

٧٤ مَثَلُ الْقَائِمِ فِى حُدُودِ اللهِ والْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ : فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ،

---

(٤) مَرْيَم : ٥٩ .

فَكَانَ الَّذِين فِى أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِى نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعًا[٥] .

والحديث يضرب مثلا للقائمين فى حدود «الله» — وهم الطائعون الملتزمون بأوامر «الله» تبارك وتعالى المجتنبون لنواهيه — وللواقعين فى حدود «الله» — وهم الذين اجترءوا على المعاصى ، وجاهروا بها — برُكَّاب سَفِينة ذات طابقين : أحدهما فوق خط الماء ، والآخر أسفله .. فأمَّا الطَّابق العُلْوِىُّ فهو مُضىءٌ مُشْمِسٌ مُتَجَدِّد الهواء ، وأما الطَّابق السُّفْلِىُّ فهو مُظلِمٌ فاسد الهواء .. وقد كان الطَّابق العُلْوِىُّ من نصيب الطائعين ، وكان الطَّابق السُّفْلِىُّ من نصيب الفاسقين ، وكأنها إشارة إلى أن الذين اتَّقَوا فوق المفسدين دائما ، وحياتهم هنيئة سهلة ، وأمورهم مُيَسَّرة .. أما العُصَاة والفَسَقَة فحياتهم صعبة يلقون فيها العنت ، والشِّدَّة ، والمشقَّة .. ولا نور لهم ، ولا بصيرة ، ولا حُسْنَ تدبير للأمور ، وإنَّما تحايل وادِّعَاء ؛ فهم يريدون خرق السَّفينة بدَعْوَى الحصول على الماء ، وعدم إيذاء مَنْ يقيمون فوقهم .. فلو تركهم الطَّائعون يُنَفِّذُون ما يريدون هلك الجميع .. وإن ضربوا على أيديهم ومنعوهم مما يريدون نجا الجميع .. لذلك كان الواجب على الطَّائعين — إذا كان فى مجتمعهم مُفسِدُون — أن يأمروهم بالمعروف ،

---

(٥) عن النُّعْمَانِ بن بَشِير (رضى الله عنه) البُخارى ، ك : الشَّرِكة . ب: ٦ (٢٤٩٣).

وينهوهم عن المنكر .. وإلاَّ تعرَّض الجميع لعقاب «الله» .. والقرآن الكريم يشير إلى ذلك فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[٦] .. وكأن اللعنة قد حاقت بهم جميعا بسبب عدم التَّناهى عن المنكر .

والرسول ﷺ يُحَذِّرُنا مِنْ ترك المُفْسِد وكأن أمره لا يعنينا ، أو أن ضرره لن يعود علينا ، ويأمرنا بمقاومة المنكر وتغييره بقوله :

٧٥ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ[٧] .

والحديث يُشِير إلى أن للتَّغيير ثلاث وسائل وهى : تغيير باليد ، وتغيير باللسان ، وتغيير بالقلب .. **والتغيير باليد هو** : إيقاف الفساد ومقاومته : بالقهر ، والسُّلطان ، والقُوَّة .. وهو مقاومة إيجابية للمُنْكَر تُؤْتِى ثِمَارَهَا لا محالة .. أمَّا **التَّغيير باللسان فهو** : محاولة إيقاف انتشاره بالنُّصْحِ ، والأَمْرِ بالمعروف ، والنَّهى عن المنكرِ ، وبيان عاقِبَةِ الفَسَادِ والإفساد .. ولا يَمَلُّ المُغَيِّرُ بِلِسَانِهِ ، أو يَيْأَسُ مِنْ عَدَمِ الاستجابة له ، ولا يَكُفُّ عن الوعظ والإرشاد .. وهذا أيضا نوع من المقاومة الإيجابية وإن كان يقلُّ فى الدَّرجة عن سابقه ..

---

(٦) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ . (٧) عن أبى سَعِيد (رضى الله عنه) مُسْلِمٌ ك : الإيمان ، ب : ٢٠ .

أما **التَّغيير بالقلب** فمعناه : الإنكار الكامل للخطأ ، والتباعد عنه وعن مُرْتكبيه ، وهذا نوع من المقاومة السَّلبية التى إذا اشترك فيه الكثيرون قد ينتج عنه سقوط المُنْكَرِ مِنْ تلقاء نفسه بمحاصرة المفسدين حتى يصبحوا منعزلين عن المجتمع لا يتعامل معهم أحد من الناس، فيُقْلِعُون عمَّا يفعلونه .

فهى إذًا ثلاثة أسلحة .. كل مسلم له سلاح يتلاءم معه ، **فالتَّغيير باليد** يكون لمن يملك ذلك كالحاكم فى شئون رعيَّته بِسَنِّ القوانين الرَّادعة ، ومواءمتها لما شرَعه «الله» وسَنَّه رسوله ﷺ .. وكالرَّجل فى أهل بيته بما جعل «الله» له من قَوَامَة .. وأما **التَّغيير باللسان** فهو مسئولية العُلَماء فى كل مكان وزمان ، وكذلك مسئولية كل مَنْ يملك النُّصْح لغيره ؛ فالتَّناصح من واجبات المسلمين ، وكذلك التَّواصى بالحق .. أما **المُنْكِر بقلبه** فهو الذى لا يستطيع ولا يملك أن يُغَيِّر بِيَدِهِ فلا سلطان له على أحد ، وكذلك لا يستطيع أن يغيِّر بلسانه لأنه من العوام ، أو لا يملك الحُجَّة أو البُرْهان .

وكل المسلمين مطالبٌ بالأمور الثلاثة .. أى التَّغيير باليد لما يستطيع أن يُغَيِّره باليد فيما يملك دون تجاوز ، أو تَعَدٍّ .. والتَّغيير باللسان لمن يُسْتَمَعُ إليه .. ويُعْمَلُ بنُصْحِهِ .. والإنكار بالقلب لما لا يستطيع أن يُغَيِّره باليد أو اللسان .. وهكذا كلٌّ بحسب موقعه .. وكلٌّ بحسب طاقته .. وصدق «الله» تبارك وتعالى إذ يقول : **﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[8] .

---

(٨) العَنكبُوت : ٦٩ .

الرِّضَا لِمَن أَرْضَى «الله»

٧٦ مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِي رِضَا النَّاسِ ، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ فِي سَخَطِهِ ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ ؛ حتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنَيْهِ(١) .

الحديث يُبيِّن الخِيارَ الصعب عند بعض الناس .. وهو الخيار الذى يُخْطِئ فيه الكثير منهم ؛ فيؤثرون رضا الناس على رضا «الله» ، وهم غافلون عن أن : **رِضَاءَ الخَلْقِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِى لا تُدْرَك** ، وأن **حُبَّ النَّاسِ لَيْسَ عَلامَةً عَلَى حُبِّ «الله»** ، وأنَّ **مَنْ أحبَّه كُلُّ الناس كان مُنَافِقًا ، ومَنْ كَرِهَهُ كُلُّ الناسِ كَانَ فاجِرًا .. وما مِنْ إنسانٍ إلاّ وله مُحِبٌّ ومُبْغِضٌ .. فالصَّالِحُ يُحِبُّهُ الصَّالحونَ ، ويُبْغِضُهُ الفاسِقُون ، والفاسِقُ يُحِبُّه مَنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ويَكْرَهُ فِعْلَهُ الطَّائِعُونَ** .. واهتمام الإنسان بإرضاء الناس أمر مطلوب ، بشرط : **أن لا يتعارضَ ذلك معَ رِضَا «الله» عَزَّ وجَلَّ** .. فإن غفل الإنسان عن ذلك ، وجعل كل هَمِّه واهتمامه هو إرضاء الناس بغضِّ النَّظر عمَّا إذا كان فى ذلك

---

(١) عن ابن عبَّاس (رضى الله عنهما) رواه الطَّبَرانيُّ ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب وقال : إسناده جَيِّد قَوِى (جـ٣/٢٠٠) .

رضاء الحق تبارك وتعالى أو سخطه ، فقد هلك وضاع وبَاءَ بسخط الجبَّار ، الذى يُقَلِّبُ القلوب والأبصار ، وتخلَّى عنه «الله» وَأَوْكَلَهُ إلى الناس الذين أرضاهم فى سخطه ، ولم يظفر برضا الناس بل باء بسخطهم واحتقارهم .. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول :

٧٧ مَنْ أَرْضَى الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ الله مَؤُونَةَ النَّاسِ ،وَمَنِ التَمَسَ رِضَا الناسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ الله إلى النَّاسِ[٢] .

وأمثلة ذلك كثيرة نراها من حولنا .. فالعَالِم الذى لا يتكلَّم بما يَجِبُ أن يُقَال ، وإنَّما بما يُحِبُّ أن يسمعه الناس ، والمرأة التى تخرج مُتزيِّنَة عارية كاسية كى تنال إعجاب مَنْ يراها ، والذى يُطْلِق النِّكات لِيُضْحِكَ جُلَسَاءَهُ ، والذى يُجارى الناس فى اغتياب الآخرين ، والذى يتملَّق الرُّؤساء والحكَّام ويُداهِنهم ويُزَيِّنُ لهم أعمالهم ، والذى يشهد زورًا ليجامل قريبًا أو صديقًا .. كل هؤلاء معرَّضون لسخط «الله» وغضبه .. وكذلك سخط مَنْ حاولوا إرضاءهم بإسخاط «الله» عز وجل .. والنَّبىُّ ﷺ يبيِّنُ لنا طريق الحقِّ والصَّواب والفلاح .. فإن كان اهتمامك هو إرضاء «الله» عز وجل – مهما سخط عليك الناس – فُزْتَ برضاه ، وأرضى هو عنك الناس الذين أسخطتهم فى رضاه ، وقَذَفَ حُبَّكَ فى قلوبهم ، وزَيَّنَ فى نظرهم عملك الذى أسخطهم – فرأوه حسنًا جميلاً .. فهو سبحانه قادر على كل شىء ،

---

(٢) عن عائشة (رضى الله عنها) رواه ابنُ حِبَّان ، ذكره السُّيوطِىُّ فى جامعه (٢٠٣٨٠) ٦/١١٩ .

وقلوب العباد بين إصبعيه يُقَلِّبُها كيف يشاء ، ويقذف فيها ما يشاء .

ولعل فى قصة مُوسى (عليه السلام) ما يُؤَكِّدُ أن حُبَّ الناس وبغضهم بِيَد «الله» عز وجل .. فقد كان فِرْعَونُ يخشى على مُلْكِهِ من وليدٍ لبنى إسرائيل ، يزول مُلْكُه على يَدَيْهِ ، فأمر بقتل كل ذَكَرٍ يُولَدُ لهم ، ومع ذلك حين جاءوه بوليدٍ فى صندوقٍ وجدوه يطفو على الماء ، ووقع نظره عليه ، وكذلك نظر امرأته قالت : ﴿... **قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ** ...﴾[3] .. فاستكان فرعون لذلك ، بل الأغرب من هذا أنه أمر بالتماس المراضع له ، ولم يملّ أو ييأس كلَّما رفض الوَلِيدُ مرضعا ، حتى وجد مَنْ يَقْبَلُها الرَّضيع .. ومن الطبيعى أنه فَرَضَ لها أجرًا على ذلك ، وأكرمها ، وأطعمها ؛ وكساها كى تهتمَّ بالرضيع ، وتكون أهلا لإرضاعه .. ودارت الأيام ، والوليد يَشُبُّ فى قصر فرعون مُحاطا بالرِّعاية والعناية بدليل قول فرعون له حين جاءه برسالة ربِّه كما يحكى القرآن : ﴿... **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾[4] .. والسِّرُّ فى كل ذلك أن «الله» تبارك وتعالى قد ألقى محبة (موسى) فى قلب كل من يراه حيث قال له : ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى**﴾[5] .. فكان كل من تقع عيناه عليه يُحِبُّه .. بدءًا ممن وجد الصُّندوق ، وانتهاءًا بفرعون الذى نَسِيَ حذره من وليد بنى إسرائيل ، وقرر أن يتَّخذه ولدًا .. وهكذا نرى أن حُبَّ الناس أو بُغْضَ الناس بِيَدِ «الله» الذى إليه يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه .. وأن مَنْ أحبَّه «الله» أحبَّته الدنيا بأسْرِها بما

---

(٣) القَصَص : ٩ . (٤) الشُّعَرَاء : ١٨ . (٥) طه : ٣٩ .

فيها وما عليها ، بل وأحبّته ملائكة الرّحمٰن فى الملأ الأعلى ، ومَن أبغضه «الله» أبغضه كل شىء فى الوجود ، وصَدَقَ رسول الله ﷺ حيث يؤكد ذلك بقوله :

78 **إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّى أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ ؛ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ؛ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ؛ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِى الأَرْضِ .. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّى أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ ؛ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فِى أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ ، فَيُبْغِضُونَهُ ؛ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِى الأَرْضِ[6] .**



(٦) عن أبى هُرَيرة (رضى الله عنه) مُتَّفقٌ عليه ، البُخارِىُّ ٦/٢٢٠ ، ١٠/٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ومُسْلِمٌ (٢٦٣٧) وانفرد مُسْلِمٌ بهذه الرواية .

احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ

٧٩ المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ .. احْرِصْ عَلَى ما يَنْفَعُكَ ، واسْتَعِنْ باللهِ وَلاَ تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا ، كَانَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ ، وَمَاشَاءَ فَعَلَ .[1]

الحديث يُبيِّن فضل المؤمن القَوِيّ ، وهو الذى لا تهزُّه الأعاصير ، ولا تتنازعه الأهواء .. فمهما تعرَّض لحوادث القضاء والقدر فهو ثابت راسخ ، أو هو كَخَامَة الزَّرع أينما جاءتها الرِّيح كفأتها .. إن أصابته سرَّاء شكر ، وإن أصابته ضرَّاء صَبَر .. فهو خير وأحب إلى «الله» من المؤمن الضَّعيف الذى قد تهزُّه حوادث القضاء والقدر ، فيجزع ، أو يشكو ، أو يضْجَر .. والحديث يأمر المسلم بالحرص على ما ينفعه دينًا ودُنيا .. فيعمل ، ويَجِدُّ ويجتهد ، ويتعلَّم آخذًا بالأسباب التى سُخِّرَت له ، متوكِّلا على «الله» ، مستعينا به فى جميع أموره .. إذ إن تَرْكَ الأسباب جهل ، وتَرْكَ التَّوكُّل فِسْق .. وهو

---

(١) عن أبي هُرَيْرَة (رضي الله عنه) رواه مُسْلِمٌ فى صحيحه ك : القدر ، ب : الإيمان بالقدر والإذعان له . جـ٥/٥٢٠ ، ٥٢١ (شرح النووى) .

فى كل ذلك لا يَصِحُّ له أن يعجز : أى يتكاسل ، أو يتوانى عن الفعل وهو قادر على الإتيان به .. **فإنَّ الحُصُولَ على الجُودِ يستلزمُ بَذْلَ المجْهُود** .. فإن حدث وجاءت النَّتائج على غير ما يشتهى عَلِمَ أن وراء قدرته وتدبيره حِكْمَة الحكيم الخبير وتصريفه .. فيرضى بما قسِمَ له ، ويبحث عن سبب اختلاف النَّتائج مع المقدِّمات .. فربَّما غفل عن شيء أو قصَّر فى شيء فيتدارك ذلك فيما يستقبل من الأمور .. فإن لم يجد شيئا من ذلك علم أن الخير فيما اختاره «الله» له ؛ فيرضى ويحمد «الله» على الواقع .. ولا يقول : لو أنى فعلت كذا لكان كذا لأن معنى كلمة «لو» أنه كان من الممكن أن يحدث غير ما حدث ، وقضاء «الله» تبارك وتعالى نافذ لا محالة ومُقَدَّرٌ من الأزل ، لا يغيِّره حرص حريص ، أو تدبير عاقل حكيم .. من أجل ذلك قال النَّبىُّ ﷺ : « **إنَّ كَلِمَةَ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» .. لأن معناها عدم الرِّضا بما حدث ، وأن الأمور كان من الممكن أن تقع على غير ما حدث ، وأن الإنسان يستطيع أن يتحكَّم فى القضاء والقَدَر .. هذا بالإضافة إلى إحساس الإنسان بالنَّدم والحسرة على ما فاته ، فيُلْقِى باللائمة على نَفْسِهِ لسوء تدبيره أو تقصيره .. إلى آخر ذلك من أمور تقدح فى صِحَّة العقيدة والتوَكُّل .. وعلاج كل ذلك أن يعمل الإنسان بنصيحة سَيِّد الأنام ﷺ .. فيقول : «**قَدَّرَ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ**» ، مُعْتَقِدا أن الأمور تجرى بالمقادير ، وأن الحادثات بمشيئة «الله» ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يَكُن ، وأن «الله» سبحانه وتعالى هو الضَّارُّ النَّافع .

هذا ، وهناك أمر غاية فى الخطورة يقع فيه بعض الناس عن

جهل ، وهو محاولة معرفة الغيب فيما مضى أو فيما يُسْتَقْبَل من خلال قراءة الطَّالع ، أو قراءة الكَفِّ ، أو من خلال أوراق اللعب (الكوتشينة) ، أو قراءة الفنجان .. وما إلى ذلك .. ولهؤلاء يقول النَّبىُّ ﷺ مُحَذِّرًا :

٨٠ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيلَةً .[٢]

وليت الأمر يقتصر على عدم قبول الصَّلاة فقط ، بل قد يصل إلى الكفر والعياذ بـ«الله» .. لقول النَّبىِّ ﷺ :

٨١ مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .[٣]

هذا ، وهناك أمر آخر لا يقل خطورة عن سابقه ، ألا وهو ما يفعله بعض الناس جهلا من:تعليق التَّمائم ، والتَّعاويذ،والأحجبة ، والخَرَز الأزرق ، والودع ، ورسم كفٍّ بأصابعها الخمس على أبواب المنازل،وما إلى ذلك ابتغاء منع الحسد ، أو تَبَرُّكًا ، وما إلى ذلك .. ومن يفعل ذلك فقد وقع فى دائرة الشِّرك بـ«الله» لقول النَّبىِّ ﷺ :

---

(٢) عن بعض أُمَّهاتِ المؤمنين (رضى الله عنهن) رواه مُسْلِمٌ ، وأحمد . ذكره السُّيوطىُّ فى جامعه (٢٠٠٦٦) جـ٧٢/٦. (٣) عن أبى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) رواه أحمد ، والحاكِمُ، والنَّسائىُّ، وابن مَاجَة، وأبو داود، والتِّرمِذىُّ،ذكره السُّيوطىُّ فى جامع الأحاديث (٢٠٠٦٥) جـ٧١/٦ .

٨٢ مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ .(٤)

هذا ، بالإضافة إلى أن هذه المُعَلَّقات تضُرُّ ولا تنفع ، وليت الأمر اقتصر على عدم نفعها .. بل إن ضررها شديد ؛ إذ تجلب غضب «الله» تبارك وتعالى ، وتُوقِع صاحبها فى دائرة الشِّرك بـ«الله» .. فيَلْقَى جزاء المشركين يوم القيامة ، بالإضافة إلى حدوث عكس ما كان يتمنَّاه من تعليقها .. فمن علَّق خرزة زرقاء لِتَقيه من الحسد أوقعته فى شرِّ الحسد؛فلا تنظر إليه عين إلاَّ وتصيبه بالحسد .. ومن علَّق شيئا للحفظ،أو الصِّيانة لم يَحْفَظْه «الله» تبارك وتعالى ولم يُحفَظ عليه ، وأَوْكَلَه إلى ما علَّقه فى صدره،أو صدر أبنائه،أو على باب منزله أو دُكَّانه،أو سيَّارته .. وهكذا ؛ لقول النَّبىِّ ﷺ :

٨٣ مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً ؛ فَلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً ؛ فَلاَ وَدَعَ اللهُ لَهُ .(٥)

هذا ، ويجب العلم بأن الغيب لا يعلمه إلاَّ «الله» .. والغيب هو ما غاب عن الحواسِّ .. يستوى فى ذلك الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

وربُّنا تبارك وتعالى يقول عن نفسه : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾(٦) .. ومع ذلك يدَّعى بعض الناس أنه

---

(٤) عن عُقْبَةَ بن عَامِر (رضى الله عنه) رواه أحمد ، والحَاكِمْ ، وأبو يَعْلَى ، ذكره السُّيوطِىُّ فى جامعه (٢٠٨٩٩) جـ٦/١٩٨ . (٥) عن عُقْبَةَ بنَ عَامِر (رضى الله عنه) رواه أحمد ، والحاكِمُ ، وأبو يَعْلَى ذكره السُّيوطِىُّ فى جامعه (٢٠٩٠٠) جـ٦/١٩٨ . (٦) الْجِنُّ : ٢٦ ، ٢٧ .

يعلم الغيب عن طريق الجنِّ ليستولى على أموال السُّفهاء بما يزعمه – كذِبًا وافتراء – من تسخيره للجِنِّ لشفاء المرضى ، أو الإخبار عن أمور غَيبيَّة ، وما إلى ذلك .. والقرآن يكذِّبه صراحة ، حيث يُخبرنا ربُّنا تبارك وتعالى أن تسخير الجنِّ لم يكن ، ولم يحدث إلاَّ لسُلَيْمَان (عليه السلام) فقط ، ولم ولن يحدث لأحد من بعده .. كما يُخْبِرنا أن الجنَّ لا يعلم الغيب حتَّى فى الأمور الحاضرة فضلا عن الماضى أو المستقبل ..فقد مات سُلَيْمَان (عليه السلام) وكان واقفا مُتَّكِئًا على عصاه ، مُشْرِفا على الجنِّ فيما سَخَّرهم لعمله ، وهم يرونه وينظرون إليه .. ومع ذلك لم يَتَبيَّنوا موته إلاّ عندما وقع على الأرض لتآكل العصا التى كان يستند عليها ولم يَقُمْ مرة أخرى .. ومِن الطبيعى أن أكل الأرَضَةِ للعصا يستغرق وقتا ليس بالقليل .. إذًا فقد كان سُلَيْمَانُ (عليه السلام) مَيِّتًا ، والجِنُّ يعمل ويشقى ويراه واقِفًا ويحسبه حَيًّا .. كل ذلك يدل على عدم معرفة الجنِّ للغيب ، وصَدَقَ الحقُّ تبارك وتعالى حيث يقول : **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾**[7] .. فعلى من يعتقدون فى هذه الخرافات : من عِلْم الكُهَّان ، أو العرَّافين ، أو الجنِّ للغيب ، ومن فائدة ونفع ما يعلِّقونه من تمائم وتعاويذ ، وما إلى ذلك أن يُقْلِعوا عن هذا الاعتقاد الفاسد الذى يُفسد عقيدة المسلم ، ويوقعه فى دائرة الشِّرك بـ«الله» .. ويسارعوا بالتَّوبة والاستغفار لعلَّ «الله» تبارك وتعالى يقبل توبة الجميع إنه هو التواب الرحيم .

---

(٧) سبأ : ١٤ .

مِنْ أَذْكَارِ النَّبِيِّ (ﷺ)

لقد ورد عن النَّبِيِّ ﷺ أنه كان يذكر «الله» عز وجل على كُلِّ أحيانه .. وعلى كافَّة أحواله فلم يكن ﷺ يخطو خطوة أو يفعل شيئا إلاَّ ومع كُلِّ حَرَكَة وسُكُون ذِكْرٌ خاص بهذا الموقف .. فإذا استطاع المسلم أن يَحفظَ هذه الأذكار ويُردِّدُها فى مناسباتها كان ذاكرًا «الله» عز وجل على كافَّة أحواله ، ملتزما بتوجيهات سَيِّد الذَّاكرين ﷺ .. وهذا الالتزام يجعل العبد فى أمان من «الله» ، غير غافل عنه ، مستجلبا لتوفيقه ، وبركته فى كل أعماله ، وأوقاته .. وإليك بعضا من هذه الأذكار المباركة :

٨٤ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ ، قَالَ : **أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سُقْمًا** .(١)

٨٥ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : **بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ** ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ

---

(١) عن عَائِشةَ (رضى الله عنها) رواه البُخارِىُّ ك : المرض ، ب : ٢٠ - حديث (٥٦٧٥) .

قَالَ : الحَمْدُ لله الَّذِى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ .(٢)

| ٨٦ | كَانَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ : قَمِيصًا ، أَوْ رِدَاءً أَوْ عِمَامَةً ، ثُمَّ يَقُولُ : **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ ، وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ .**(٣)

| ٨٧ | كَانَ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ : **الْحَمْدُ لله الَّذِى أَطْعَمَ وَسَقَى وَسَوَّغَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا .**(٤)

| ٨٨ | كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : **ذَهَبَ الظَّمَأُ ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ.**(٥)

| ٨٩ | **كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ ومَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ .**(٦)

---

(٢) عن البَرَاءِ (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ ك : الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار ، ب : الدُّعاء عند النَّوم . جـ٥/٥٦٣ (شرح النووى) ورواه أحمد ، والنَّسائِيُّ . والبُخارى ك : الدعوات ب : ٨ (٦٣١٤) جـ١١/١١٥ (فتح البارى) ، والنَّسائِيُّ والتِّرمِذِيُّ وابن ماجَةَ عن حُذَيْفَة بن اليَمَان (رضى الله عنه) .
(٣) عن أبى سَعِيدٍ الخُدرِىِّ (رضى الله عنه) التِّرمِذِيُّ ك : اللباس ب : ٢٩ (١٨٢٢) وأبو داود ك : اللباس (٤٠١٠).(٤) عن أبى أيُّوب (رضى الله عنه) أبو دَاود ك : الأطعمة ب : ٥٤ (٣٨٣٣) ، ورواه أيضا النَّسائِيُّ وابن حِبَّان . (٥) عن ابنِ عُمَر (رضى الله عنهما) أبو دَاود ك : الصوم ب : ٢٢ ، (٢٣٤٠) . (٦) عن عائِشَة (رضى الله عنها) رواه البُخارِيُّ بمعناه ك : الطب ب : ٣٢ (٥٧٣٥) .

٩٠ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ :
الحَمْدُ للهِ الَّذِى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ لَهُ .(٧)

٩١ كَانَ إِذَا دَخَلَ الخَلاَءَ قَالَ :
اللَّهُمَّ، إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ.(٨)

٩٢ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا يَقُولُ بِآخِرِهِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ :
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .(٩)

٩٣ كَانَ لاَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلاَّ قَالَ :
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّى وَبِحَمْدِكَ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَقَالَ : لاَ يَقُولُهُنَّ أَحَدٌ حَيْثُ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِى ذَلِكَ المَجْلِسِ .(١٠)

---

(٧) عن أنس (رضى الله عنه) رواه مُسْلِمٌ ك : الذّكر والدُّعاء والتّوبة والاستغفار ب : الدُّعاء عند النَّوم .
(٨) عن أنس (رضى الله عنه) رواه البُخارِىُّ ك : الوضوء ، ب : ٩ ، (١٤٢) .
(٩) عن أبى بَرْزة (رضى الله عنه) رواه أبو داود ك : الآداب ، ب : ٣٢،(٤٨٣٨) .
(١٠) عن عَائِشةَ (رضى الله عنها) رواه الحَاكِمُ ، ذكره السُّيوطىُّ فى جامع الأحاديث (١٦٥٥٦) .

٩٤ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ :
بِسْمِ اللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْأَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَىَّ ، أَوْ أَبْغِى أَوْ يُبْغَى عَلَىَّ .(١١)

٩٥ كَانَ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ قَالَ :
بِسْمِ اللهِ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ذُنُوبِى وَافْتَحْ لِى أَبْوابَ رَحْمَتِكَ ، وإِذَا خَرَجَ قَالَ : **بِسْمِ اللهِ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ذُنُوبِى وَافْتَحْ لِى أَبْوابَ فَضْلِكَ .**(١٢)

٩٦ كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ ، قَالَ : **لاَ بَأْسَ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ .**(١٣)

٩٧ كَانَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ ، قَالَ :
اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا،وَخَيْرَ مَا فِيهَا،وَخَيْرَ

---

(١١) عن أُمِّ سَلَمَة (رضى الله عنها) أحمد ، والتِّرمِذِىُّ ك : الدعوات ب ٣٥ (٣٤٨٧) ورواه الطَّبَرَانِىُّ ، عن بُرَيْدَةَ (رضى الله عنه) . (١٢) عن فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء (رضى الله عنها) رواه أحمد ، والطَّبَرَانِىُّ ، وابن ماجَة ، ذكره السُّيُوطِىُّ فى جامعه (١٦٣٠١) جـ٥/١٦٧ .

(١٣) عن ابن عَبَّاس (رضى الله عنهما) رواه البُخَارِىُّ ك : المرض، ب : ١٤ (٥٦٦٢) .

مَا أُرْسِلَتْ بِهِ .. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ .[١٤]

٩٨ إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : **الحَمْدُ لله** وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُه : **يَرْحَمُكَ الله** ، فَإِذَا قَالَ لَهُ : **يَرْحَمُكَ الله** ، فَلْيَقُلْ : **يَهْدِيكُمُ الله ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ** .[١٥]

٩٩ كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ ﷺ :

يَامُقَلِّبَ القُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : **إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ** .[١٦]

١٠٠ كَانَ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ : **لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الأَرْضِ ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ** .[١٧]

---

(١٤) عَن عَائِشَةَ (رضى الله عنها) رواه مُسْلِمٌ ك : صلاة الاستسقاء ب : التعوذ عند رؤية الريح ... ورواه أحمد والترمذِيُّ . (١٥) عن أبى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) رواه البُخارِيُّ ك : الأدب ، ب : ١٢٦ – إذا عطس كيف يشمت حديث(٦٢٢٤) . (١٦) عن أم سَلَمَةَ (رضى الله عنها) رواه التِّرمِذِيُّ ك : الدعوات ، ب : ٩٥ (٣٥٨٨) وحسَّنه . (١٧) عن ابن عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما) البُخارِيُّ : ك : الدَّعوات ، ب : ٢٧ ــ الدُّعاء عند الكرب (٦٣٤٦) جـ١١/١٤٥ (فتح البارى) ومُسْلِمٌ : ك : الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار ب : دعاء الكرب بلفظ (كان يقول) بدلا من (كان يدعو) .

مِنْ دُعَاءِ النَّبِىِّ (ﷺ)

الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ .. والدُّعاء دليل على إيمان العبد بـ«الله» وبقُدْرَتِهِ .. وإقرار مِنه : بعجْزِه ، وفَقْرِه ، واحتياجه إلى «الله» عز وجل .. وعدم الدُّعاء حرمان يُعَرِّض العبد لغضب «الله» ، ونِقْمَتِهِ ، لأنه دليل على غَفْلَةِ العَبْدِ ، وبُعْدِهِ عن «الله» .. وقد أمر ربُّنا تبارك وتعالى بدعائه واعدًا بالإجابة ، ومُهَدِّدًا الذين لا يدعونه فقال : **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**(١) .. **﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ...﴾**(٢) .. **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾**(٣) .. **﴿... وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**(٤) .. وأثنى سبحانه وتعالى على بعض عباده فقال : **﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾**(٥) .. وقَصَّ سبحانه وتعالى علينا كثيرا من دعاء الرُّسل والأنبياء واستجابته لهم .. مُعَلِّما إيَّانا : كيف نلجأ إليه ، ونضرع فى كل الظُّروف والأحوال ؟

ولا شك أن أفضل الدُّعاء على الإطلاق هو ما دعا به رسول الله ﷺ فهو لا ينطق عن الهوى ، وقد كان ﷺ يلجأ إلى «الله» فى كلِّ حال ، مُسْتَعينا به ، سائلا إيَّاه ، معلِّمًا الأمَّة كيفيَّة السُّؤال والطَّلب بأجمل وأبلغ صيغ الكلام وأوفاه ، وأقربها للقبول .

---

(١) غافِر : ٦٠. (٢) غافِر : ١٤. (٣) البَقَرة : ١٨٦. (٤) الأعْرَاف : ٥٦. (٥) الأنْبِيَاء : ٩٠.

وإليك مجموعة من أدعيته ﷺ كى تحفظها وتدعو بها ، وعلى «الله» القبول :

١٠١ اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ .(٦)

١٠٢ اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا .(٧)

١٠٣ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ : زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفَجْأَةِ ، نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ .(٨)

١٠٤ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ .. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ ، وَمَازَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ لِي فَرَاغًا فِيمَا تُحِبُّ .(٩)

١٠٥ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ،

---

(٦) عن بُشْر بن أرطأة (رضى الله عنه) رواه أحمد ، وابن حِبَّان ، والحَاكِمُ فى المُستدرك .
(٧) عن عُمَرَ (رضى الله عنه) رواه الترمِذِى ، والحاكم . (٨) عن ابن عُمَرَ (رضى الله عنهما) رواه مُسْلِمٌ ك : الرِّقاق ، ب : أكثر أهل الجنة الفقراء جـ٥/٥٨١ (شرح النووى) . (٩) عن عبد الله بن يزيد الخطمى (رضى الله عنه) رواه الترمِذِى .

وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والفَوْزَ بِالجَنَّةِ ، وَالنَّجاةَ مِنَ النَّارِ .[١٠]

١٠٦ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَالَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَالَمْ أَعْلَمُ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ .. اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الجَنَّةَوَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِى خَيْرًا .[١١]

١٠٧ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ المُبَارَكِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِى إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ ، وَإِذَا اسْتُرْحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وَإِذَا اسْتُفْرِجْتَ بِهِ فَرَّجْتَ[١٢].

---

(١٠) عن ابن مَسْعُودٍ (رضى الله عنه) رَوَاه الحَاكِمُ فى المستدرك وإسناده جَيِّد . (١١) عن عَائِشَةَ (رضى الله عنها) ابن مَاجَة . وصَحَّحَه الحَاكِمُ .. (٣٨٤٦) ك : الدُّعاء ، ب : ٤-الجوامع من الدعاء .

(١٢) عن عائشة (رضى الله عنها) ابن مَاجَةَ (٣٨٥٩) ك : الدُّعاء ، بُ : ٩ - اسم «الله» الأعظم .

١٠٨ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِى الأَمْرِ ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا ، وَقَلْبًا سَلِيمًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ .(١٣)

١٠٩ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِى دِينِنَا ، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا .(١٤)

١١٠ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِى دِينِى الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى ، وَأَصْلِحْ لِى دُنْيَاىَ الَّتِى فِيهَا مَعَاشِى ،

---

(١٣) عن شَدَّادِ بن الأَوْسِ (رضى الله عنه) التِّرمِذِىُّ والنَّسَائِىُّ . (١٤) عن ابن عُمَرَ (رضى الله عنهما) رواه التِّرمِذِىُّ ك : الدَّعوات، ب : ٨٣ (٣٥٦٩) والحاكم .

وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ .(١٥)

١١١ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .(١٦)

١١٢ اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي .. اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الإِخْلاَصِ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ ، وأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ والغِنَى ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بالقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، والشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ .(١٧)

---

(١٥) عن أبي هُرَيْرَة (رضى الله عنه) رواه مسلم ك : الذكر ، والدعاء والتوبة والاستغفار ب : في الأدعية.
(١٦) عن عَلِي بن أبي طالب (رضى الله عنه) رواه الترمذي ك : الدعوات (٣٦٣٤) جـ١٠/٨ وقال: حَسنٌ غريب ، والحاكم. (١٧) عن عمّار بن ياسر (رضى الله عنه) رواه النَّسَائِيُّ والحاكمُ .

١١٣ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ .[١٨]

١١٤ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والْحَزَنِ ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ .[١٩]

١١٥ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِى ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي ، وَعَمْدِى ، وَهَزْلِي ، وَجِدِّى .. وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى .. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ .. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .[٢٠]

١١٦ اللَّهُمَّ لاَ سَهْلَ إِلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً .. وَأَنْتَ إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ الْحَزْنَ سَهْلاً .[٢١]

---

(١٨) عن عَائِشة (رضى الله عنها) رواه النَّسَائِي ك : الافتتاح ، ب : الدُّعاء فى السُّجود ، ومُسْلِمٌ والتِّرمِذِيُّ ، وابن مَاجَة ، وأبو دَاود . (١٩) عن أنس (رضى الله عنه) رواه البُخارِيُّ ك : الدَّعوات ب : ٤٠ (٦٣٦٩) ، ورواه مُسْلِمٌ ك : الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار ب : الدَّعوات والتَّعوذ ، وأحمد فى مسنَدِه . (٢٠) عن أبى موسى (رضى الله عنه) رواه البُخارِيُّ ك : الدَّعوات ، ب ٦٠ (٦٣٩٨) . ومُسْلِمٌ فى صَحِيحِه . (٢١) عن أنس (رضى الله عنه) رواه ابن حِبَّان ، والحاكِمُ .

وَصْفُ أُمِّ مِعْبَدٍ لِلنَّبِىِّ (ﷺ)

فى طريق هجرة النَّبِىِّ ﷺ من مكَّة إلى المدينة مَرَّ بخيمتى أُمِّ مِعْبَدٍ الخُزَاعِيَّة – وكانت امرأة بَرْزَةً جَلْدَة[1] تَحْتَبِى[2] بفناء الخيمة ، ثم تُطْعِمُ وتَسْقِى مَنْ مَرَّ بها – فسألها هل عندها شىء .. فقالت : و«الله» لو كان عِنْدَنا شىءٌ ما أعوزكم القِرَى[3] والشاءُ عَازِبٌ [4] وكانت سَنَةً شَهْبَاءَ[5]. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة[6] فقال : ما هذه الشَّاةُ يَا أُمَّ مِعْبَد ؟ قالت : شَاةٌ خَلَّفَهَا الجَهْدُ[7] عَن الغنم .. فقال : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ .. قالت : هِي أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ .. فقال : أَتَأْذَنِينَ لِى أَنْ أَحْلِبَهَا ؟ قالت : نَعَمْ بِأَبِى وَأُمِّى إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلِبْهَا .. فَمَسَحَ ﷺ بِيَدِه ضَرْعَهَا وسَمَّى «الله» ودَعَا فتفاجَّت[8] عَلَيْه وَدرَّتْ .. فَدَعَا بِإِنَاءٍ لَهَا يُرْبِضُ الرَّهْطَ[9] فَحَلَبَ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ الرَّغْوَةُ ، فَسَقَاهَا ، فَشَرِبَتْ حَتَّى رَوِيَتْ ، وسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوُوا ، ثُمَّ شَرِبَ وحَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا حَتَّى مَلأَ الإِنَاءَ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا .. فَارْتَحَلُوا .. فَقَلَّمَا لَبِثَتْ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أبو مِعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزالاً[10] .. فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ ، فقال : مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا والشَّاةُ عَازِبٌ ، ولاَ حَلُوبَةَ فِى الْبَيْتِ ؟ فقالت : لا والله إلاَّ أَنَّه مرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْت وكَيْت ، ومِنْ حَالِهِ كذا وكذا .. قال : و«الله» إنِى لأَرَاهُ صَاحِبَ قُرَيْشٍ الَّذى تَطْلُبُه ..

---

(١) قَوِيَّة شديدة . (٢) تجلس . (٣) ما يُقدَّم للضيف . (٤) لم يطرقها ذَكَرٌ . (٥) شديدة القَحط .
(٦) جانبها . (٧) التعَب والجوع . (٨) اندفع اللبن من ضرعها . (٩) يكفى الجماعة من الناس .
(١٠) تلتفُّ أرجلها من الضَّعف .

صِفِيهِ لى يَا أُمَّ مِعْبَدٍ ، قالت :

١١٧ ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ[١١] ، أَبْلَجُ الْوَجْهِ[١٢] ، حَسَنُ الْخَلْقِ ، لَمْ تَعِبْهُ نَجْلَةٌ[١٣] ، وَلَمْ تُزْرِهِ صَعْلَةٌ[١٤] ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ[١٥] ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ[١٦] ، وَفِي أَشْعَارِهِ وَطَفٌ[١٧] ، وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ[١٨] ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَحٌ[١٩] ، أَحْوَرُ[٢٠] ، أَكْحَلُ[٢١] ، أَزَجُّ[٢٢] ، أَقْرَنُ[٢٣] ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعْرِ ، إِذَا صَمَتَ عَلاَهُ الْوَقَارُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ عَلاَهُ الْبَهَاءُ[٢٤] ، أَجْمَلُ النَّاسِ وأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْسَنُهُ وَأَحْلاَهُ مِنْ قَرِيبٍ ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ[٢٥] ، فَصْلٌ[٢٦] ، لاَنَزْرٌ[٢٧] ، ولاَ هَذْرٌ[٢٨] ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نُظِمْنَ[٢٩] يَتَحَدَّرْنَ ، رَبْعَةٌ[٣٠] ، لاَ تَقْتَحِمُهُ[٣١] عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ، ولاَ تَشْنَؤُهُ[٣٢]

---

(١١) نظافة المظهر . (١٢) مُنير . (١٣) طول شقّ العين . (١٤) صِغر الرأس بالنسبةللجِسْم . (١٥) جميلٌ وقَسَماتُ وجْهِهِ مُتناسقة مُتساوية . (١٦) إنسان عينيه شديد السَّواد . (١٧) شعره كثيف . (١٨) جمال ووضوح . (١٩) استواء . (٢٠) شديد سواد إنسان العين مع شدة بياضها . (٢١) جُفُون العين مكحُولة بالخِلْقَةِ . (٢٢) الحواجب مُقَوَّسَة . (٢٣) مُتَّصِلُ الحَوَاجِبِ . (٢٤) الرَّونق . (٢٥) حُلو الأسلوب . (٢٦) كلامه ما قَلَّ ودلَّ . (٢٧) تافِه . (٢٨) هَذَيان . (٢٩) كعِقْدٍ منظُومٍ ليس بِسُرْعَة ولا بطء أى على درجةٍ واحِدَة . (٣٠) بين الطَّويل والقصير معتدل القَوام . (٣١) لا تتجاوزه عَيْنٌ . (٣٢) لا ترتفع العين للنظر إليه من طوله .

مِنْ طُولٍ ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا ، لَهُ رُفَقَاءُ يَحفُّونَ بِهِ[٣٣] ، إِذَا قَالَ اسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ ، وإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ[٣٤] ، مَحْفُودٌ[٣٥] مَحْشُودٌ[٣٦] لاَ عَابِسٌ[٣٧] ولاَ مُفَنَّدٌ[٣٨] .[٣٩]



---

(٣٣) يُحيطُون به .

(٣٤) أسرَعوا إلى تَلْبِيَة كلامه وأوامره .

(٣٥) تَحسُّ بعظمته وهيبته .

(٣٦) تحتَشِد له الناس .

(٣٧) وجهه بَشُوشٌ .

(٣٨) لا يُخطَّأ كلامه.

(٣٩) رواه ابن القيِّم في : «زاد المعَاد في هَدْى خير العِبَاد» .

وَصْفُ هِنْد بن أَبِى هَالَة للنَّبِىِّ (ﷺ)

هذا ويقول الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ (رضى الله عنهما) : سألت هِنْدَ ابنَ أَبِى هَالَة – وكان وصَّافا – عن حِلْيَةِ[٤٠] رسول الله ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به فقال :

[١١٨] كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فَخْمًا[٤١] مُفَخَّمًا[٤٢] يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، أَطْوَلَ مِنَ المَرْبُوعِ[٤٣] وَأَقْصَرَ مِنَ المُشَذَّبِ[٤٤] ، عَظِيمَ الهَامَةِ[٤٥] ، رَجِلَ[٤٦] الشَّعرِ ، إِذا انْفَرَقَتْ عَقِيصَتُهُ[٤٧] فَرَقَ ، وإِلاَّ فَلاَ ، يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ[٤٨] ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ[٤٩] ، وَاسِعَ الجَبِينِ[٥٠] ، أَزَجَّ[٥١] الحَوَاجِبِ ، سَوَابِغَ[٥٢] فِي غَيْرِ قَرَنٍ[٥٣] ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ[٥٤] الغَضَبُ ، أَقْنَى العِرْنِينِ[٥٥] ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ[٥٦] ، كَثَّ اللِّحْيَةِ[٥٧] ، سَهْلَ الخَدَّيْنِ[٥٨] ، ضَلِيعَ الفَمِ[٥٩] ، أَشْنَبَ[٦٠] ، مُفَلَّجَ[٦١] الأَسْنَانِ ، دَقِيقَ المَسْرُبَةِ[٦٢] ، كَأَنَّ

---

(٤٠) شكل . (٤١) عظيم القدر . (٤٢) مُعَظَّمًا عند الناس .
(٤٣) متوسِّط الطول . (٤٤) الطويل البائن . (٤٥) الرأس . (٤٦) مُمَوَّج . (٤٧) مُقَدَّم شعر الرأس .
(٤٨) أطاله . (٤٩) أبيض مُشْرَب بحُمْرة . (٥٠) المسافة من العَين إلى الأذن . (٥١) مُستوِيَة بالخِلْقة .
(٥٢) كوامل . (٥٣) اتصال . (٥٤) يُظْهره . (٥٥) طول الأنف ودقَّة أرنبته وحدب فى وسطه .
(٥٦) ارتفاع أرنبة الأنف . (٥٧) غزير شعر الذقن . (٥٨) مستويان فى غير ارتفاع . (٥٩) مُربَّع .
(٦٠) رقيق الأسنان . (٦١) غير مُلْتَصِقة . (٦٢) الشعر بين العُنُق والسُّرَّة .

عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ(٦٣) ، فِي صَفَاءِ الفِضَّةِ ، مُعْتَدِلَ الخَلْقِ(٦٤) ، بَادِنًا(٦٥) مُتَمَاسِكًا ، سَوَاءَ البَطْنِ وَالصَّدْرِ(٦٦) ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ(٦٧) ، عَرِيضَ الصَّدْرِ ، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ(٦٨) ، أَنْوَرَ المُتَجَرِّدِ(٦٩) ، مَوصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ(٧٠) والسُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِى كَالْخَطِّ ، عَارِىَ الثَّدْيَيْنِ والْبَطْنِ وَمَاسِوَى ذَلِكَ ، أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِى الصَّدْرِ ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ(٧١) ، رَحْبَ الرَّاحَةِ(٧٢) ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ والْقَدَمَيْنِ(٧٣) ، سَائِلَ الأَطْرَافِ(٧٤) ، مَسِيحَ القَدَمَيْنِ(٧٥) ، يَنْبُو(٧٦) عَنْهُمَا الْمَاءُ ، إِذَا زَالَ ، زَالَ تَقَلُّعًا(٧٧) ، ويَخْطُو تَكَفُّؤًا(٧٨) ، وَيَمْشِى هَوْنًا(٧٩) ، ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ(٨٠) ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ(٨١) ، وإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا(٨٢) ، خَافِضَ الطَّرْفِ(٨٣) ، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ(٨٤) نَظَرِهِ الْمُلاحَظَةُ(٨٥) ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ(٨٦) ، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلاَمِ .(٨٧)

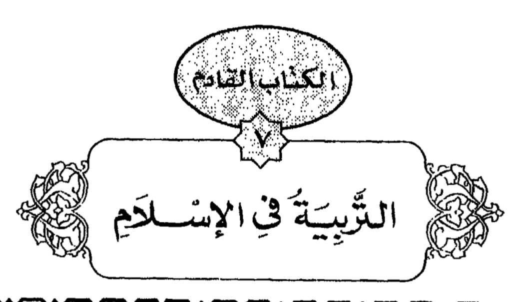
(٦٣) مستوٍ كعُنُق عروسة من عاج . (٦٤) التناسب بين الأعضاء . (٦٥) المُمْتَلِئ بغير ترهُّل . (٦٦) مستويان لا يبرز أحدهما عن الآخر. (٦٧) الكَتِفين من الخلْف. (٦٨) مجتمع العظام كالرُّكْبَة مثلا. (٦٩) المواضع التى خلت من الشَّعر . (٧٠) النُّقْرة فى أسفل العُنُق . (٧١) عظام الذِّراعيْن . (٧٢) واسع الكَفّ . (٧٣) كسا اللحم عِظامها فهى ليِّنة . (٧٤) رشيق الأصابع . (٧٥) أملسهما . (٧٦) ينحدر . (٧٧) لا يَجُرُّ قدميه على الأرض . (٧٨) الميل للأمام . (٧٩) هَيْنًا برفقٍ ولين . (٨٠) طول الخطوة . (٨١) كأنه ينزل من مكان مرتفع . (٨٢) يَلْتَفِت بصدره مع رأسه . (٨٣) غاضٌ بصره . (٨٤) مُعْظَم . (٨٥) النظر بطرف العَيْن دون اجتراء . (٨٦) يمشى خلْفَهم . (٨٧) جمع الفوائد (٨٤٢٣/٥١) والتِّرمِذِىُّ فى الشمائل ب : ما جاء فى خلقه ﷺ ح (٦) ، والطبرانِىُّ فى : الكبير ، والبَيْهَقِىُّ.

وبعــد

فَيَأيها القارئ الكريم .. لعلَّك قد عِشْتَ سُوَيْعَاتٍ مع نور أحاديث رسول الله ﷺ ، وإعجازها الفذَّ فى ألفاظها ومعانيها .. نفعكَ «الله» بها ، وألْهَمَكَ العمل بما جاء فيها .. ولعلَّك قد رسمت صورة فى مخيلَتِكَ لشكل أكمل المخلوقات وأفضلها على الإطلاق ﷺ من خلال وصف «أمِّ مِعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّة» التى أدْلَت به بفطرتها السّليمة ، ودون أن تعرف أنه رسول الله ﷺ .. وكذلك من خلال وَصْف وصّاف العرب «هِنْد بن أبِى هَالَة» الذى اتَّفق مع وَصْف «أُم مِعْبَدٍ» فى أدَقِّ التَّفاصيل .. وعليك بعد ذلك أن تُعِيدَ قِرَاءة الكتاب وأنت مُسْتَحْضِرٌ لصورة النَّبىِّ ﷺ وكأنه يُخَاطِبُك شخصيًّا بهذه الأحاديث فتتَّضح لك معانٍ ، وأنوار ، وإشراقات لم تتنبَّه لها فى قِرَاءَتِكَ الأولى .. ولَعَلَّ «الله» أنِ يرزقك رؤيته ﷺ فى المنام فإن من رآه فى المنام فقد راه حقًّا .

و«الله» ولِىُّ التَّوْفيق

ياسين رشدى

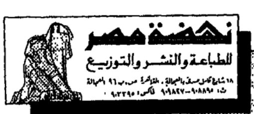


- كيف نُرَبِّى أبناءنا التربِيَة السلِيمةَ - بدءًا من اختيار الزوجة ، وانتهاءً بتزويجهم - طبقا لتوجيهات الرسول الكريم ﷺ ؛ حتى يشبُّوا على طاعة «الله» وبِرِّ الوالدين ؟
- كيف تختار شريك الحياة ؟

فترة الخطُوبة .. المعاشرة الزوجِيَّــة .. الحمل .. الولادة .. الرضاعة .. الفِطَام .. آداب العادات من : أكل ، ونوم ، وغيرها .. تربية الذوق .. تنمِيَة الهوايات .. دخول المدرسة .. سِنّ المراهقة .. سن الشباب .. موضوعات أخرى .

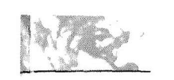
الفهـرس

تابع الفهرس



رقم الايداع : ٨٣٢٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-14-0092-4



ما أجملَ سماحةَ الإسلام !! وما أيسرَ يُسرَه !!
على بِساط سماحة الإسلام ويُسره .. ندعوكم لِنُحلِّقَ معًا .. فى آفاق جمال هذا الدين القويم ..

فإنه بعد عشرين سنة .. قضاها الداعية الإسلامى الكبير / **ياسين رشدى** فى الدعوة إلى «الله» عز وجل ..

وَفَّقَنَا «الله» تعالى لإخراج مُؤلَّفاته للعالم الإسلامى ..

ومساهمة وتيسيرًا مِنْهُ على الأمة الإسلامية .. فقد تنازل عن حقوقه فى تقاضى أى أجر .. مقابل هذه المُؤلَّفات .. لتكونَ دعوته إلى «الله» خالصة .. لايبتغى بها غير وجه «الله» عز وجل .. مما أفاد فى تخفيض سعر هذه الكتب ..

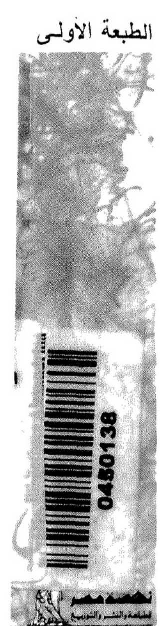
فجزاه «الله» خير الجزاء .. وتقبَّل «الله» مِنَّا ومِنْهُ ..
والحمد «لله» الذى يَسَّرَ لنا إخراج هذه **السلسلة الشهرية** .. التى صدر منها الكتب الآتية :
«**هو الله**» ثم «**الإسلام وأركانه**» ثم «**من الأحاديث القدسية**» ثم «**المحظورات**» ثم «**من أخلاقيات الإسلام**» وقد نفدت طبعاتها المتكررة فور صدورها ..

واستجابة لرغبة جماهير الأمة الإسلامية جارٍ طبعها طبعات أخرى ..

وهذا هو **الكتاب السادس** بين يديك ..

الناشر

الطبعة الأولى



٢٠٠ ص